نِسَاءُ عَصْرِ النُّبُوَّةِ

نساء عصر النبوة "الصحابيات"
الكاتب: محمد نافع
تصميم الغلاف:
إخراج داخلي: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 20252 / 2018
الترقيم الدولي: 0 - 30 - 6642 - 977 - 978

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع والترجمة

E- mail: Logarithpublish@gmail.com

Tel.: **01015642559**

المدير العام: إيناس ناصر
المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

9 789776 642300

الصحابيات

نساء عصر النبوة

-رضوان الله عليهن-

الكاتب

محمد نافع

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution

الفهرس

المقدمة 8

خديجة بنت خويلد 11

فاطمة بنت محمد 21

سودة بنت زمعة 29

عائشة بنت أبي بكر 34

حفصة بنت عمر الخطاب 42

زينب بنت خزيمة الهلالية 49

هند أم سلمة المخزومية 53

زينب بنت جحش 63

جويرية بنت الحارث 71

أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان 77

صفية بنت حيي بن أخطب 85

صفية بنت عبد المطلب 97
أسماء بنت أبى بكر 101
ذات النطاقين: 105
فاطمة بنت الخطاب 110
أم سليم بنت ملحان..... 117
كلثوم بنت عقبة..... 130
نسيبة المازنية 138
سفانة بنت حاتم الطائي 145
أم ورقة بنت عبد الله الأنصارية..... 149
أم هانئ بنت أبي طالب 153
الربيع بنت معوذ النجارية 157
أم حرام بنت ملحان..... 161
النوار بنت مالك 166

أسماء بنت عميس 170
الشفاء بنت عبد الله العدوية 182
بريرة مولاة عائشة..... 186
أسماء بنت يزيد..... 192
خولة بنت الأزور 196
الخنساء 205
عاتكة العدوية 215

❋ ❋ ❋

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وبعد:

أين نساء أمتنا من هؤلاء؟

نساء يعتز بهنّ الإسلام...

وقد عقمت أرحام الأمهات أن تنجب أمثالهنّ!

إنّ الذي دعانا للكتابة عن هؤلاء الصحابيات الجليلات -رضي الله عنهنّ وأرضاهنّ:- أنهنّ قدوة حسنة، ونبراسٌ يضيء الطريق أمام النساء والشابات المسلمات، اللواتي يبحثن عن الفضيلة؛ والفضيلة بنظري: ليست تجنب الرذيلة فحسب! وإنما ألا نشتهيها من الأصل، أو تكون متأصلة فينا؛ لأنّ عليها يقوم كل شيء حسن، وما كان خطاب المولى -عز وجل- لنبيِّه -صلى الله عليه وسلم- (**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**)؛ إلا لأن الفضيلة جزء لا يتجزأ من حسن الخلق، الذي هو صلب الدين القويم، الذي ارتضاه الله -عز وجل- لعباده.

وإنه ليسعدنا ويشرفنا: أن نقدم هذه السلسلة المباركة في حياة الصحابيات الجليلات، وأسأله تعالى أن يتقبّل منا هذا العمل، وأن يجعله -برحمته- خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعكم به -بإذنه تعالى-، ونكون جميعًا هادين مهتدين، لا ضالين ولا مضلين، -برحمته- إنه أرحم الراحمين، فهو الأرحم والأرأف من الأم بوليدها -سبحانه وتعالى عما يشركون!-.

إنَّ الهدف من عرض سيرة بعض الصحابيات الجليلات؛ أن تدرك نساؤنا وبناتنا وأخواتنا: كيف كنّ هؤلاء يعبدن الله -عز وجل- حق عبادته -جلّ وعلا-، وكيف كنّ يخلصن له العمل -سبحانه وتعالى-، وكيف كنّ يطعن النبي -صلى الله عليه وسلم- طاعةً عمياء، وكيف كنّ يطعن أزواجهنّ، ويحفظن بيوتهنّ في غيبتهنّ، ويحافظن على أموال أزواجهنّ!

نساء كنَّ يخشين الله -تبارك وتعالى- ويعرفن أوامر القرآن الكريم ونواهيه وحدوده، كما يعرفن آباءهنّ وأبناءهنّ، نساء لسنَ كنساء هذه

الأيام! كل همهنّ ينصب على الدنيا، وبهرجتها، وزينتها، إلا من رحم ربي منهنّ!

أمّا كيف وصلن إلى كل تلك الكرامات! فلأنهنّ نساء أخلصن العمل لله -تبارك وتعالى-، سواء في العبادة، أو في الطاعة الحقة لأزواجهنّ، أو حسن معاملة الآخرين من حولهنّ: من أرحام، وإخوة، وأخوات في الله.

وما وَضَعتُ هذه السلسلة المباركة للقَصّ فقط؛ وإنما للاقتداء بهن، وأخذ العظة من حياتهن -رضوان الله عليهن-؛ وهذا هو الهدف من تقديم الشخصيات الإسلامية، وتوصيل ذلك الهدف للناس.

إنَّ أصبنا فمن الله وحده ومِنّته وفضله.

وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان-عصمنا الله وإياكم-.

خديجة بنت خويلد

سيدة قريش الطاهرة

سيدة نساء العالمين في زمانها، ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشية الأسدية الملقبة (بالطاهرة)، وقد وُلِدَت -سيدة قريش- في بيت مجد وسؤدد، قبل عام الفيل بِنَحوِ خمسة عشر عام، ونشأَت في بيوت من بيوتات قريش الشريفة، فغدت امرأة عاقلة جليلة، اشتُهِرَت بالحزم والعقل، والأدب الجَم ، لذلك؛ كانت مَحَطَّ أنظار كِبار الرجال من قومها. تزوَّجَت مرتين، فأنجَبَت ولدًا وبنتًا من الأول، الذي مات عنها، وأما الثاني ففارَقَته!

ثم تقدم لها بعد ذلك كثير من أشراف قريش، لكنها آثرت الانصراف لتربية أولادها، وإدارة شئون تجارتها؛ حيث كانت ثرية ذات مال، فكانت تستأجر الرجال ليتجروا لها، حيث تَدفع لهم المال مضاربة، فلما بلغها عن محمد بن عبدالله -قبل بعثته صلى الله عليه وسلم- ما اتصف به من الصدق والأمانة والخلق، أرسلَت إليه لِيَخرُج بمالها إلى الشام مع

غلام لها، يُقَالُ له (مَيسرة) على أنْ تعطيه -صلى الله عليه وسلم- أكثر مما تُعطي غيره.

فوافق الصادق الأمين، وسافر مع غلامها، ووفَّقه الله في هذه التجارة، فكان الرّبح وفيرًا، وسُرَّت خديجة -رضي الله عنها- بهذا الخير الكثير الذي أحرزته على يد محمد -صلى الله عليه وسلم- ؛ ولكن إعجابها بِشَخْصِه كان أعظم وأعمق. وبدأَت الخواطر تتسابق إلى ذهنها مَمزُوجة بالعواطف الجياشة، التي لم تعرفها مِن قبل؛ فهذا رَجُل ليس كبقيّة الرجال...!

ولكن تُرَى...! هل يَقبل الشاب الأمين الصادق بالزواج منها، وهي تَبلُغ مِنَ المكان ما تَبلُغ، ومِنَ السن[1] ما تَفُوقه به -صلى الله عليه وسلم؟! إنها مشيئة الله وتدبيره!

يُيَسِّر لها الله مِن عنده صَديقتها (نفيسة بنت منبه)، التي ساعَدَتها في تنفيذ رغبتها، وما إنْ خرجَت نفيسة من عند صَديقتها خديجة؛ حتى

1 على اختلافٍ في فارق السن بينهما.

انطلقت إلى الأمين -صلى الله عليه وسلم-، وابتدرَته متسائلة بذكاء واضح:

ما يمنعك أنْ تتزوج يا محمد؟؟

فقال لها: ما في يدي ما أتزوّج به...

فابتسمَت قائلة: فإن كُفِيتَ، ودُعِيتَ إلى المال، والجمال، والشرف، والكفاءة، فهل تجيب؟؟

فرد متسائلًا: ومَن؟؟؟

قالت على الفَور: خديجة بنت خويلد.

فقال-صلى الله عليه وسلم- إنْ وافقَت فقد قبِلتُ.

ولّما تم العقد، نُحِرَتْ الذبائح، ووُزِّعَتْ على الفقراء، وفُتِحَتْ دار خديجة للأهل، والأقارب، فإذا من بينهم (حليمة السعدية)، جاءت لِتَشهد عُرس ولَدها الذي أرضعَته، وعادت بعد ذلك إلى قومها، ومعها أربعون رأسًا من الغنم، هدية من العروس الكريمة؛ لِمَن أرضعَت محمدًا -الزوج الحبيب-.

وأصبحت -الطاهرة- سيدة قريش زوجًا للأمين محمد، وضَربت أعظم المثل، وأروَعها، في حبّها لِزوجها، وإيثارها لما يُحب. فعندما رأَت

حُبَّه لِمَولاها (زيد بن حارثة) وَهبَته إياه. وحِينَ آنسَت مِنه الرغبة في ضم أحد أبناء عمه (أبي طالب) إليه؛ رَحَّبَت بذلك، وأفسحَت (لعلي -رضي الله عنه-) المجال الأوفر؛ لِيكسب من أخلاق زوجها محمد -صلى الله عليه وسلم-.

ومَنَّ الله على ذلك البيت السعيد، بالنعمة تِلوَ النعمة، فرزقهما البنين والبنات: القاسم، وعبدالله، وزينب، ورُقَية، وأم كُلثوم، وفاطمة.

ومَا كانت السيدة الطاهرة خديجة -رضي الله عنها- لِتَضيق ذَرعًا بهذه الخَلوات، التي تُبعده عنها أحيانا، وما كانت لِتُعكِّر صَفوَ تأملاته، بِفُضول الأسئلة والقِيل والقَال؛ بل حاولَت ما وَسعَها الجهد: أن تُحيطه بالرعاية، والهدوء، ما أقَام في البيت! فإذا انطلَق إلى الغار ظلَّت عيناها عَلَيه مِن بعيد؛ بل وتُرسِل وراءه مَن يحرسه، ويرعاه دُون أنْ يقتَحم عليه خَلوَتَه.

ومكَث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ذلك الحال ما شاء الله له أن يمكُث، ثم جاءه جبريل -عليه السلام- بما جاءه مِن كرامة الله، وهو بِحِراء في شَهر رمضان، وكان معه مِن أمر الوحي ما كان، ثم

انطلَق يتلمَّس بيته في غَبَشِ الفجر خائفًا شاحبًا مرتَعِد الأَوصال، وهو يقول:

"زمّلُوني زمّلُوني. دثّرُوني دثّرُوني "

وبعد أن استوضحَت منه الأمر، قال لها: يا خديجة لقد خشيتُ على نفسي!

وهتفَت الزوجة الحبيبة العاقلة في ثِقة ويقين: (الله يرعانا يا أبا القاسم، أَبْشِر يا بن عم، واثبت! فوالذي نفس خديجة بيده! إني لأرجو أنْ تكون نبي هذه الأمة، والله لا يخزيك الله أبدا..! إنك لَتصِل الرَّحِم، وتصدق الحديث، وتَحمل الكَلَّ، وتُقري الضيف، وتُعين على نَوائب الحق).

واطمَأَنَّ فُؤاد النبي أمام هذا التثبِيت، وعاودَته السَكِينة أمام تَصديق زوجته، وإيمانها بما جاء به.

ولم تكتفِ المرأة العاقلة الحكيمة بذلك؛ بل ذهبَت من فَورِها إلى ابن عمها (وَرَقَة بن نَوفل)، وحدثَته بما كان من أمر محمد -صلى الله عليه وسلم-، فما كان منه إلّا أنْ صاح (قُدُّوس.. قُدُّوس، والذي نفس ورقة

بيده، لئن كنتِ صَدَقْتِني يا خديجة؛ لقد جاءه الناموس الأكبر، الذي جاء موسى وعيسى، وإنَّه لَنبي هذه الأمة، فقولي له: فليثبُت!).

وأَسرَعَتْ إلى الحبيب لِتَزُفّ له البشرى، ثم لِتعود بصُحْبَتِه؛ لِيشهد بسمعه ما عند ابن عمها -وَرَقَة- بشأنه، الذي ما كاد يلمحْه قادمًا نحوه: حتى صاح: (والذي نفسي بيده! إنّك لَنبي هذه الأمة، ولَتُكَذَّبَن، ولَتُؤذَيَن، ولَتُخرَجن، ولَتُقَاتَلَن، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليوم، لأنصرن الله نصرًا يَعلَمه! ثم أدنَى رأسه منه، فقبَّل يافُوخَه).

فقال محمد -صلى الله عليه وسلم- "أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟؟"

أجاب وَرَقَة: نعم، لم يأتِ رجل قَط، بِمِثْلِ ما جئتَ به إلا وَعُودِيَ، ليتني أكون فيها جذعًا!.... ليتني أكون حيًا! ثم ما لَبِثَ وَرَقَة أن تُوفي.

وطابت نفسُه -صلى الله عليه وسلم- بما سَمِعَ. وعلم مِنَ الوهلة الأولى أنَّ للدعوة أعباء وتكاليف، وأنَّ هذه سنة الله في أنبيائه، والداعين إليه. فليلقَ في سبيل دعوته الخالصة لِرب العالمين: كُلّ ما عند المشركين، مِن أذى، واضطهاد...

وكانت خديجة أول مَن آمن بالله ورسوله، ودخلَت الإسلام، ووقفَت الزوجة المُحبّة المؤمِنة إلى جانب النبي -صلى الله عليه وسلم-

الزوج الحبيب تنصره، وتَشُد مِنْ أزْرِه، وتُعِينه على احتمال أقسى ضروب الأذى، والاضطهاد، فيخفف بِذلك اللهُ عن نَبِيّه، فإنه لا يسمع شيئا مما يكرهه: من رد، وتكذيب له، فيُحْزِنْهُ ذلك؛ إلّا فَرَّجَ اللهُ عنه بها إذا رجَع إليها، فكانت -رضي الله عنها- تُثَبِّته، وتُخفّف عنه، وتُصَدِّقه، وتُهَوِّن أمر الناس عليه... وأخذَت تَتَنَزَّلُ آيات القرآن تَتْرَى، وتتتابع:

"يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) "

ومنذ ذلك الحين: بدأ الرسول الكريم حياة جديدة، حافلة بالبركات والمشقات، وأخبر زوجه المؤمنة بأن عهد النوم، والراحة، قد انتهى!

وأخذَت خديجة -رضي الله عنها- تدعو إلى الإسلام، بجانب زوجها -عليه الصلاة والسلام- بالقول والعمل، وكان أول تلك الثمار مولاها (زيد)، وبناتها الأربع -رضوان الله عليهم أجمعين-.

وأخذت المِحَن القاسية تشتَد على المسلمين، بمختلف الأشكال والصور! ووقفت خديجة: كالجبَل الأشَم، ثباتًا، وإصرارًا، وهي تتمثل قول الله تعالى: (**أَلم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**)

واختار الله إلى جواره أبناءها: القاسم، وعبد الله، وهما في سن الطفولة، فصبرَت، واحتسبَت، ورأَت بِعَينَيها أول شهيدة في الإسلام (سمية)، وهي تُعاني الموت على أَيدي الطُغاة، حتى أسلمَت رُوحها لخالقها عزيزة كريمة.

وَوَدّعَت ابنتها وفلذَة كَبدها (رقية)، زوجة عثمان بن عفان -رضي الله عنهما-، وهي تهاجر إلى الحبشة فِرارًا بِدِينِها من أذى قُرَيش...

، ورَأت وعاصرت كل الفترات العصيبة المملوءة بالأهوال والكِفاح، ولم يَعرف اليأسُ إلى قلب المجاهدة سبيلًا؛ فهي تتمثل في كل لحظة -قول الله تعالى:- (**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذلك مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**)

ونجدها عندما أعلنَت قريش مقاطعتها للمسلمين؛ لتحاصرهم سياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا، وسجلت مقاطعتها لهم بصحيفة عُلِّقَت في جَوف الكعبة، نجدها لم تترددْ في الوقوف مع المسلمين، في شِعب أبي طالب، مُتَخلِّية عن دارها الحبيبة، لتقضي هنالك في الشِعب ثلاث سنين، صابرة مع الرسول، ومَن معه مِن صَحبه وقَومه على عَنت

الحصار المُنهِك، إلى أن تهاوى الحصار أمام الإيمان الصادق، والعزيمة التي لا تعرف الكَلَل، وقد بَذلَت السيدة خديجة في هذه المِحنَة كلّ ما تَبقى لديها، وهي في الخامسة والستين من العمر. وبعد انهيار الحصار بستة أشهر: مات أبو طالب، ثم تُوفيت المجاهدة المحتسبة -رضي الله عنها- ،وذلك قبل الهجرة بست سنين.

هكذا ذهبَت النفس المطمَئِنّة إلى ربّها، عند انتهاء الأجل المَحتُوم، وبعد أنْ ضربَت أروَع النماذِج وأصدَقها في الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله. فكانت بحق الزوجة الحكيمة التي تقدر الأمور حق قدْرها، وتبذل العطاء ما فيه إرضاء الله ورسوله، وبذلك استحقت أن تُبَلَّغ مِن ربّها السلام، وأن تُبَشَّر بِبيت في الجنة مِن قَصَب، لا صَخَب فيه، ولا نَصَب!

ولذلك كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد)).

قالت عائشة: كان رسول الله -صلى الله عليه سلم- إذا ذَكَر خديجة: لم يَكدْ يَسأم مِن ثَنَاء عليها، واستغفار لها، فذَكَرَها يومًا، فحَمَلَتني الغِيرة، فقلتُ: لقد عَوضك الله مِن كبيرة السن!! قالت: فرَأيته غَضِب

غَضَبًا. أسْقَطتُ في خُلدِي، وقُلتُ في نفسي: اللهم إنْ أذهَبت غضَب رسولك عني لم أعدْ أذكُرها بسوء. فلمّا رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- ما لقيت، قال: ((كيف قُلتِ؟؟ والله لقد آمنَت بِي إذ كذَّبَني الناس، وآوَتْني إذ رفضَني الناس، ورُزِقتُ منها الولد، وحُرِمتُموه مِني)) قالت: فغَدا وراح عليَّ بِها شَهرا.

عن أبي زَرعة، سمع أبا هريرة يقول: " أتى جبريل للرسول -صلى الله عليه سلم- فقال:" أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهَّ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ " متفق على صِحَّتِه.

فاطمة بنت محمد

سيدة نساء أهل الجنة

إذا افتخرت بنت بأبيها، فيكفِ سيدة نساء العالمين أنها بنت إمام المتقين -صلى الله عليه وسلم-.

وإذا افتخر مُفتخر بنسَبِه، فإن سيدة نساء العالمين تفوق بذلك من افتخر.

وإذا تعاظم شخص في نفسه، فحَسْبُ سيدة نساء العالمين هذا اللقب (سيدة نساء العالمين)!

هي: فاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

- قال الإمام الذهبي: سيدة نساء العالمين في زمانها، البضعة النبوية، والجهة المصطفوية. أم أبيها، بنت سيد الخلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشية، الهاشمية، وأم الحسنين.

وكانت فاطمة أصغر بنات النبي -صلى الله عليه وسلم- وأحبهن إليه.

مولدها:

قبل المبعث بقليل.

زواجها:

تزوجها الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في ذي القعدة، أو قُبيله، من سنة اثنتين بعد وقعة بدر (قاله الذهبي).

وقال ابن عبد البر: دخل بها بعد وقعة أُحد، فولدت له: الحسن، والحسين، ومحسنا، وأم كلثوم، وزينب.

صداقها:

أصدق عليّ -رضي الله عنه- فاطمة درعه الحُطمية.

فأي خير بعد ذلك في التفاخر بكثرة الصداق؟!

وأي خير في غَلاء المُهُور؟!

وهل نساء الدنيا أجمع خير أم فاطمة؟!

خدمتها في بيت زوجها:

كانت فاطمة -رضي الله عنها- تعمل في بيت زوجها، حتى أصابها من ذلك مشقّة.

قال عليّ -رضي الله عنه:- شَكَتْ فاطمة -رضي الله عنها- ما تلقى من أثر الرّحى، فأتى النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- سبي، فانطلقت، فلم تجده، فوجدت عائشة، فأخبرتها، فلما جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي -صلى الله عليه وسلم- إلينا وقد أخذْنا مضاجعنا، فذهبْتُ لأقوم، فقال: على مكانكما، فقعد بيننا، حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: ألا أدلكما على خير مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما: تكبران أربعًا وثلاثين، وتسبحان ثلاثًا وثلاثين، وتحمدان ثلاثًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم. (رواه البخاري ومسلم).

فإذا كان هذا هو حال سيدة نساء العالمين، فما في حياة الترف خير!

من فضائلها:

- روت عن أبيها. وروى عنها ابنها الحسين، وعائشة، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وغيرهم...، وروايتها في الكتب الستة.
- وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يُحبها، ويكرمها، ويُسرّ إليها. ومناقبها غزيرة، وكانت صابرة ديّنة خيرة صيّنة قانعة شاكرة لله.

• وقد غضب لها النبي -صلى الله عليه وسلم- لما بلغه أن (أبا الحسن) همّ بما رآه سائغًا من خطبة بنت (أبي جهل) فقال: والله لا تجتمع بنت نبي الله وبنت عدو الله، وإنما فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها." رواه البخاري ومسلم"؛ فترك عليٌّ الخطبة رعاية لها، فما تزوّج عليها ولا تسرّى، فلما توفيت تزوج وتسرّى -رضي الله عنهما-.

• ولما توفي النبي -صلى الله عليه وسلم- حزنت عليه، وبكته، وقالت: يا أبتاه إلى جبريل ننعاه.. يا أبتاه أجاب ربًا دعاه.. يا أبتاه جنة الفردوس مأواه. وقالت بعد دفنه: يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ وقد قال لها في مرضه: إني مقبوض في مرضي هذا؛ فبكت. وأخبرها أنها أول أهله لحوقًا به، وأنها سيدة نساء هذه الأمة، فضحكَت، وكتمَت ذلك. فلما تُوفي -صلى الله عليه وسلم- سألَتها عائشة؛ فحدَّثَتها بما أسرّ إليها.

• قالت عائشة -رضي الله عنها:- اجتمع نساء النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم يُغادرْ منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي، كَأنّ مِشيَتها مِشيَةَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: مرحبًا بابنتي. فأجلَسها

عن يمينه، أو عن شماله، ثم إنه أسرّ إليها حديثًا، فبكت فاطمة! ثم إنه سارّها، فضحكَت! فقلت لها: ما يبكيكِ؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن. فقلت لها حين بَكَتْ: أخصّك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بحديثه دُوننا؛ ثم تبكين! وسألتُها عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حتى إذا قُبض سألتُها؛ فقالت: إنه كان حدثني أن جبريل كان يُعارضه بالقرآن كل عام مرة، وأنه عَارَضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقًا بي، ونِعم السلف أنا لك، فبكيتُ لذلك، ثم إنه سارّني، فقال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة، فضحكتُ لذلك. "رواه البخاري ومسلم".

- وكان -عليه الصلاة والسلام- يقوم لها، وتقوم له، ويُقبّلها، وتُقبّله -رضي الله عنها-.

حياؤها -رضي الله عنها-:

قالت فاطمة -رضي الله عنها- لأسماء بنت عميس -رضي الله عنها:- إني أستقبح ما يصنع بالنساء، يُطرح على المرأة الثوب فيصفها.

قالت: يا بنة رسول الله، ألا أريك شيئا رأيته بالحبشة؟ فَدَعَتْ بجرائد رطبة -يعني أسماء-، فَحَنَتْها، ثم طرحت عليها ثوبًا. فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله! إذا مِتّ فغسليني أنت وعلي، ولا يدخلن أحد عليّ.

- قال ابن عبد البر: هي أول من غُطي نعشها في الإسلام على تلك الصفة.

أولادها -رضي الله عنها-:

تقدّم ما لها من أبناء، في ترجمة زواجها من عليّ -رضي الله عنه-.

وكان لها من البنات: أم كلثوم، زوجة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وزينب زوجة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنهما-.

فكيف يجتمع حب آل البيت، وبغض أصهارهم؟!

فعمر -رضي الله عنه- زوج أم كلثوم بنت علي -رضي الله عنه وعنها-...

وإذا ضاقت عليهم المذاهب أنكروا زواج عمر -رضي الله عنه- من أم كلثوم!

فاطمة -رضي الله عنها- وميراث أبيها:

قال الإمام الذهبي -رحمه الله:- " ولما تُوفي أبوها تعلَّقَت آمالها بميراثه، وجاءت تطلُب ذلك من أبي بكر الصديق، فحدَّثَها أنه سمع من النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (لا نورث ما تركنا صدقة)، فَوَجَدَتْ عليه، ثم تعللت". انتهى كلامه -رحمه الله-.

وحدّث الشَّعْبي، قال: "لّما مرضَت فاطمة أتى أبو بكر فاستأذَن، فقال عليٌّ: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذُن عليك، فقالت: أتحبّ أن آذن له؟ قال: نعم. فأذِنَتْ له، فدخل عليها يَترضّاها، وقال: والله ما تركتُ الدار والمال والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله ورسوله، ومرضاتكم أهل البيت. قال: ثم ترضّاها حتى رضِيَت." رواه البيهقي في الكبرى وفي الاعتقاد.

وفاتها:

تُوفيت -رضي الله عنها- بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- بخمسة أشهر، أو نحوها...،

وعاشت أربعًا، أو خمسًا، وعشرين سنة، وأكثر ما قيل: أنها عاشت تسعًا، وعشرين سنة.

"رضي الله عن فاطمة البتول وأرضاها، وصلى الله وسلم على من رباها"

سودة بنت زمعة

المهاجرة أرملة المهاجر

هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ، القرشية، العامرية.

كانت سيدة جليلة نبيلة، تزوجت أولًا من [السكران بن عمرو]، أخي [سهيل بن عمرو العامري]، وكانت معه ضِمن النَّفَر الثمانية من بني عامر، الذين خرجوا من دِيارهم، وأموالهم، وركبوا أهوال البحر راضين بما هو أقسى من الموت، من أجل النجاة بدينهم، وقد اشتد عليهم العذاب، والضغط لردهم إلى الضلال والشرك، وما كادت تنتهي محنة غربتها، في أرض الحبشة، حتى فقدت الزوج المهاجر؛ لتعاني مِحنة الترمل بعد مِحنة الاغتراب!

تأثر النبي -صلى الله عليه وسلم- للمهاجرة المؤمنة المترملة أيَّما تأثُر! ولذلك؛ ما كادت (خولة بنت حكيم السلمية) تذكرها له، حتى مَدَّ يَدَهُ الرحيمة إليها؛ ليقِفَ بجانبها، ويُهَوِّنَ عليها الذي ذاقت من قسوة

الحياة، لاسيما؛ أنها أصبحت في سن الشيخوخة، فهي أحوَج ما تكون لمن يرعاها، ويقف بجانبها!

و تروي كتب السيرة: أنه ما كادت تمر فترة الحزن حتى كانت (خولة بنت حكيم) تسعى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- متلطفة مترفقة، تقول: ألا تتزوج يا رسول الله؟

فأجاب بنبرات مليئة بالحزن، والأسى: "ومن بعد خديجة يا خَولة؟؟!!"

فقالت: إنْ شِئتَ بِكرًا، وإنْ شِئتَ ثَيِّبًا.

فقال: ومَنِ البِكر؟ قالت: ابنة أحب خلق الله إليك، عائشة بنت أبي بكر... وبعد فترة صمت، قال -صلى الله عليه وسلم- ومَنِ الثَّيِّب؟ قالت خولة: إنها سودة بنت زمعة، التي آمنت بك، واتبعتك على ما أنت عليه.

عقد النبي -صلى الله عليه وسلم- على عائشة -رضي الله عنها-، وتزوج من سودة، التي انفردت به نحوًا مِن ثلاث سنين أو أكثر، حتى دخل بعائشة... واندهش الناس في مكة زواج النبي -صلى الله عليه

وسلم- من سَودَة بنت زَمعة، وتساءلوا في ارتياب: أرملة مسنة -غير ذات جمال- تخلف سيدة نساء قريش، التي كانت مَطمَح أنظار السادة منهم!

واستطاعت سَودة -رضي الله عنها- أن تقوم على بيت النبوة، وتخدم بنات النبي -صلى عليه وسلم-، وأن تُدخل السرور والسعادة إلى قلب النبي -صلى الله عليه وسلم- بخفة روحها، ومرحها، على الرغم من ثقل الجسم!... وبعد ثلاث سنوات، جاءت عائشة إلى بيت النبوة، ثم وفدت على البيت زوجات أخريات: حفصة، وزينب، وأم سلمة،...

أدركَت -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يتزوجْها إلا إشفاقًا لحالها، بعد وفاة زوجها. واتضح لها ذلك جليًا، عندما أراد النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يُسرِّحها سراحًا جميلًا؛ ليعفيها من وضعٍ -شَعُرَ أنه يَجرح قلبها-، فلمّا نبأها بعزمِه على الطلاق، أحسَّت كأنَّ كابوسًا يُطْبِقُ على صدرها، فهمست في ضراعة: (أمْسِكني يا رسول الله، ووالله ما بي على الأزواج من حرص، ولكني أرجو أن يبعثني الله يوم القيامة زوجًا لك).

وهكذا آثرت -رضي الله عنها- مرضاة الزوج الكريم، فوهبت ليلتها عائشة،

رعاية لقلب رسول الله، واستجاب رسول الله لصاحبة الشعور النبيل، وأنزل الله في ذلك قرانا يتلى:

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا والصُّلْحُ خَيْرٌ)

سورة النساء آية 128

مكثت سودة في بيت النبوة راضية مطمئنة، شاكرة لله أن ألهمَها هذا الحلَّ المُوَفَق، لتكون مع خير خلق الله، في الدنيا أُمًّا للمؤمنين، وزوجًا له في الجنة، وتُوفيت -رضي الله عنها- في أواخر عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

وقد ظلت أم المؤمنين عائشة تذكر لها صنيعها، وتؤثرها بجميل الوفاء: (ما مِنِ امرأة أحب إليَّ من أن أكون في مسلاخها -{ أي تكون في مثل هديها وطريقتها }- من سودة بنت زمعة، لما كبرت قالت: قد جعلت يومي منك لعائشة. إلا أن بها حدة).

عن هشام، عن ابن سيرين: أن عمرًا بَعث إلى سودة بغرارة دراهم. فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم.

قالت: في الغرارة مثل التمر، يا جارية: بلِّغيني القنع -{الطبق}- ففرَّقَتها.

يروى لسودة خمسة أحاديث: منها في الصحيحين: حديث واحد عند البخاري:

حدثنا ريطة، عن عمرة، عن عائشة، قالت: لما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة بعث زيدًا، وبعث معه أبا رافع -مولاه-، وأعطاهما بعيرين، وخمسمئة درهم. فخرجنا جميعًا. وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة، وأم كلثوم، وبسودة بنت زمعة، وبأم أيمن، وأسامة ابنه.

عائشة بنت أبي بكر

المبرأة من فوق سبع سماوات

هي معلمة الرجال، الصديقة بنت الصديق -خليفة رسول الله- -صلى الله عليه وسلم- أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، القرشية، التيمية، المكية، أم المؤمنين، زوجة سيد ولد آدم، وأحب نسائه إليه، وابنة أحب الرجال إليه، المبرأة من فوق سبع سماوات.

أثبتت للدنيا -منذ أربعة عشر قرنًا- أنّ للمرأة أنْ تكون أعلم من الرجال، وأن تكون سياسية، محاربة! إنها لم تتخرج من الجامعة، ولم تتلمذ على يَدِ المستشرقين والمستغربين، وإنما تتلمذت وتخرجت من مدرسة النبوة، مدرسة الإيمان، مدرسة الفرسان... فقد تولاها في طفولتها: شيخ الإسلام وأفضلهم -أبوها الصديق. وقد رعاها في شبابها: نبي البشرية ومعلمها، أكرم البشر، وأفضلهم، زوجها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فجمعت من العلم، والفضل والبيان، ما جعلها تخلف في التاريخ دويًا، تتناقل أصداءَه العصورُ، فهذه آثارها

تدرس كليات الآداب، كما تدرس أبلغ النصوص الأدبية، وهذه فتاواها تدرس في كليات الدين، وهذه أعمالها الكاملة، مجال بحث لكل مُدرِّسي تاريخ العرب والمسلمين.

كان تزويجه -صلى الله عليه وسلم- بها بأمر من الله -عز وجل- إثرَ وفاة خديجة -رضي الله عنها-، فتزوج بها، وبسودة بنت زمعة -رضي الله عنهما- في وقت واحد؛ ولكنه، دخل بسودة، وتفرد بها نحو ثلاثة أعوام، حتى بنى بعائشة في شوال بعد واقعة بدر. وانتقلت العروس الصغيرة إلى بيتها الجديد -بيت النبوة- ، والذي كان عبارة عن حجرة من الحجرات، التي شيدت حول المسجد، من اللَّبِنِ وسعف النخيل، وقد وُضِعَ فيه فِراشٌ من أدم حشوُهُ ليف، ليس بينه وبين الأرض إلا الحصير، وعلى فتحةِ الباب أُسدِلَ سِتارٌ مِنَ الشَّعر.

وفي هذا البيت المتواضع بدأت عائشةُ حياة زوجية حافلة ، ستظل حديث التاريخ.

وفي بيت الزوجية غدت عائشة معلمةً لكل نساء العالم على مر العصور، فكانت خير زوجة: تُؤنس الزوج، وتُدخل السرور على قلبه، وتُزيل عنه ما يكابده خارج المنزل من مصارع الحياة والدعوة إلى الله!

وكانت خير زوجة: كريمة النفس ، سمحة اليد، صبرَت مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الفقر والجوع! حتى أنْ كانت تمر عليها الأيام الطويلة وما يُوقد في بيت رسول الله نارٌ لخبز أو طبيخ، وإنما يعيشان على الأسودين -التمر والماء-!

ولما أقْبلَت الدنيا على المسلمين، أتيت مرة بمائة ألف درهم، وكانت صائمة؛ ففرّقَتها كلها!

وليس في بيتها شيء. فقالت لها مولاتها:" أَمَا استطعتِ أن تشتري بدرهم لحمًا تفطرين عليه؟؟

قالت: لو كنت ذكرتِني لفعلتُ". فلم يُزعجها الفقر، ولم يُبطرها الغِنى! صانت نفسها، فهانت عليها الدنيا، فما عادت تُبالي: إقبالها، أو إدبارها!

وكانت خير زوجة: اهتمت بالتلقي عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فبلغت من العلم، والبلاغة، ما جعلها تكون معلمة للرجال، ومرجعًا لهم، في الحديثِ، والسنةِ، والفقهِ.

فقال الزهري: لو جُمِعَ عِلمُ عائشة إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل.

وقال هشام بن عروة عن أبيه قال: لقد صَحِبتُ عائشة، فما رأيت أحدًا قط كان أعلم: بأية أُنزِلَت، ولا بفريضة، ولا بسنة، ولا بشعر، ولا بأروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا بطب، منها! فقال لها يا خالة: الطب من أين علمته، فقالت: كنت أمرض، فيُنعت لي بشيء، ويمرض المريض فينعت له، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه.

ومن أهم المواقف في حياة أم المؤمنين، عائشة -رضي الله عنها- موقف التهمة الشنيعة التي اتهمت بها -حادثة الإفك-؛ وهي أبعد عنها، من الأرض إلى السماء، السماء التي نزل فيها الحكم ببراءَتها بآيات نقرؤها، ونتعبد بها، إلى يوم القيامة،

وكانت هذه المحنة -في أفضل امرأة- درسا وعبرة لكل امرأة؛ بأنه ليس في الدنيا شريفة فوق الاتهام!!

عندما مرض الرسول -صلى الله عليه سلم- بعد عودته من حجة الوداع، وشعر بأن أوان الرحيل قد آن، وقد أدى الأمانة، وبلغ الرسالة؛ كان يقول، وهو يطوف على نسائه: متسائلا، أين أنا غدًا؟؟ أين أنا بعد غد؟؟؟ استبطاء ليوم عائشة!

فطابت نفوس بقية أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- بأن يمرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث أحب، وقلن جميعًا: " يا رسول الله، قد وهبنا أيامنا لعائشة ".

وانتقل حبيب الله، إلى بيت الحبيبة، فسهرت عليه تمرضه، وبودها لو تفديه بنفسها، فداك أبي وأمي يا رسول الله...! وحانت لحظة الرحيل، ورأسه -صلى الله عليه وسلم- في حجرها..

قالت -أم المؤمنين- تصف اللحظة الرهيبة: توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بيتي، ويومي، وليلتي، بين سحري ونحري، ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر، ومعه سواك رطب، فنظر إليه، حتى ظننت أنه يريده، فأخذته، فمضغته، ونفضته، وطيبته، ثم دفعته إليه، فاستن به كأحسن ما رأيته مستنًا قط، ثم ذهب يرفعه إلي، فسقطت يده! فأخذت أدعو له بدعاء، كان يدعو له به جبريل، وكان يدعو به إذا مرض. فلم يدعو به في مرضه ذلك؛ فرفع رأسه للسماء، وقال: (بل الرفيق الأعلى) وفاضت نفسه. فالحمد لله، الذي جمع بين ريقي وريقه، في آخر يوم من الدنيا.

ودفن -صلى الله عليه وسلم- حيث قبض في بيتها، وعاشت بعده تعلم الرجال والنساء، وتشارك في صنع التاريخ الإسلامي، إلى أن وافتها المنية، ليلة الثلاثاء، لسبع عشرة مضين من رمضان، سنة سبع وخمسين، وهي في السادسة والستين من عمرها -فرضي الله عنها وأرضاها-.

يبلغ مسند عائشة ألفين ومئتين وعشرة أحاديث، وعائشة ممن ولد في الإسلام، وكانت امرأة بيضاء جميلة؛ لذلك يقال لها: الحميراء. ولم يتزوج النبي بكرًا غيرها، ولا أحب امرأة كما أحبها، وقد ذكر بعض السلف: أنه لا يوجد امرأة، في أمة محمد، بل في النساء مطلقًا، بأعلم منها.

فضائلها -رضي الله عنها-:

1- عن عائشة -رضي الله عنها:- أن جبريل جاء بصورتها، في خرقة حرير خضراء، إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة.

2- عن عائشة قالت: لقد أعطيت تسعا، ما أعطيتهن امرأة، بعد مريم بنة عمران: لقد نزل جبريل بصورتي في راحته؛ حتى أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرًا، وما تزوج بكرًا غيري، ولقد قبض ورأسه في حجري، ولقد قبرته في بيتي، ولقد حفت الملائكة ببيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وإني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلفت طيبة عند طيب، ولقد وعدت مغفرة، ورزقًا كريمًا.

3-سأل عمرو بن العاص النبي -صلى الله عليه وسلم- أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟

قال: (عائشة)، قال: فمن الرجال؟ قال: (أبوها).

4- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (فضل عائشة على النساء؛ كفضل الثريد على سائر الطعام).

5-عن عائشة، قالت: " قلت يا رسول الله، مَن من أزواجك في الجنة؟

قال: (أما إنك منهن). قالت: فخيل إلي أن ذلك؛ لأنه لم يتزوج بكرًا غيري."

6- أن عائشة، قالت، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (يَا عَائِشَ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ).

قالت: وعليه السلام، ورحمة الله، ترى ما لا نرى يا رسول الله.

حفصة بنت عمر الخطاب

رضي الله عنها

هي حفصة، بنت- أمير المؤمنين- عمر بن الخطاب -ر ضي الله عنهما-، ولدت قبل المبعث بخمسة أعوام. لقد كانت حفصة زوجة صالحة، للصحابي الجليل (خنيس بن حذافة السهمي)، الذي كان من أصحاب الهجرتين، هاجر إلى الحبشة مع المهاجرين الأولين، فرارا بدينه، ثم إلى المدينة نصرة لنبيه -صلى الله عليه وسلم-، وقد شهد بدرا، ثم شهد أحدا، فأصابته جراحة توفي على أثرها، وترك من وراءه زوجته (حفصة بنت عمر) شابة في ريعان العمر، فترملت ولها عشرون سنة.

زواج حفصة، من الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

تألم عمر بن الخطاب لابنته الشابة، وأوجعه أن يرى ملامح الترمل تغتال شبابها، وأصبح يشعر بانقباض في نفسه، كلما رأى ابنته الشابة؛

تعاني من عزلة الترمل، وهي التي كانت في حياة زوجها تنعم بالسعادة الزوجية، فأخذ يفكر بعد انقضاء عدتها في أمرها، من سيكون زوجًا لابنته؟

ومرت الأيام متتابعة..وما من خاطب لها! وهو على غير دراية بأن النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ قد اهتم لها وذكرها أمام أبي بكر -رضي الله عنهم أجمعين-

ولما تطاولت عليه الأيام، وهو يرى ابنته الشابة الأيم، يؤلمها الترمل، فما كان منه إلا أن عرضها على -الصديق-أبي بكر، لكنه لم يجبه بشيء. فعرضها على عثمان، فقال له: "بدا لي اليوم ألا أتزوج". فوجد عليهما، وانكسر! وشكا حاله إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: "يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، يتزوج عثمان من هو خير من حفصة..؟!"

وعمر لا يدري معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم-! لما به من هموم لابنته، حتى خطبها الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فزوجه عمر -رضي الله عنه- ابنته حفصة، ونال شرف مصاهرة النبي -صلى الله

عليه وسلم-، ويرى أنه قارب المنزلة التي بلغها أبو بكر من مصاهرته -صلى الله عليه وسلم- بعائشة، وهذا هو المقصود -والله أعلم- من تفكير النبي -صلى الله عليه وسلم- بخطبته لحفصة بنت عمر -رضي الله عنها؟!-

زوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عثمان من ابنته -أم كلثوم- بعد وفاة أختها رقية، ولما تزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حفصة.. لقى عمر بن الخطاب أبا بكر؛ فاعتذر أبو بكر إليه، وقال: لا تجد علي؛ فإن ر سول الله -صلى الله عليه وسلم- كان قد ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سره، ولو تركها لتزوجتها؟!

وبذلك تحققت فرحة عمر وابنته حفصة.. وبارك الصحابة يد رسول -صلى الله عليه وسلم-، وهي تمتد لتكرم عمر بن الخطاب بشرف المصاهرة منه -عليه الصلاة والسلام-، وتمسح عن حفصة آلام الترمل والفرقة! وكان زواجه -صلى الله عليه وسلم- بحفصة سنة ثلاث من الهجرة، على صداق قدره أربعمائة درهم، وعمرها يومئذ عشرون عامًا.

حفصة في بيت النبوة:

وقد حظيت حفصة بنت عمر بن الخطاب -رضي الله عنها- بالشرف الرفيع، الذي حظيت به سابقتها عائشة بنت أبي بكر الصديق!!. وتبوأت المنزلة الكريمة من بين (أمهات المؤمنين) -رضي الله عنهنَّ!! -

وتدخل (حفصة) بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- ثالث الزوجات في بيوتاته -عليه الصلاة والسلام-؛ فقد جاءت بعد (سودة)..، و(عائشة)...

أما سودة فرحبت بها راضية. وأما عائشة فحارت! ماذا تصنع مع هذه الزوجة الشابة؟! وهي مَن هي! بنت الفاروق (عمر)...، الذي أعز الله به الإسلام.. وملئت قلوب المشركين منه ذعرًا!!

سكتت عائشة أمام هذا الزواج المفاجئ، وهي التي كانت تضيق بيوم ضرتها (سودة)، التي ما اكترثت لها كثيرا! فكيف يكون الحال معها، حين تقتطع (حفصة) من أيامها، مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- ثلثها؟!... وتتضاءل غيرة عائشة من حفصة، لما رأت توافد

زوجات أخريات على بيوتات النبي -صلى الله عليه وسلم-: " زينب ...، وأم سلمة...، وزينب الأخرى..، وجويرية...، وصفية.."

إنه لم يسعها إلا أن تصافيها الود، وتسر حفصة لود -ضرتها- عائشة، وينعمها ذلك الصفاء النادر بين الضرائر!

صفات حفصة -رضي الله عنها-

حفصة -أم المؤمنين- الصوامة، القوامة... شهادة صادقة من -أمين الوحي- (جبريل عليه السلام)!! ، وبشارة محققة:" إنها زوجتك -يا رسول الله- في الجنة!"...

وقد وعت حفصة مواعظ الله: حق الوعي، وتأدبت بآداب كتابه الكريم: حق التأدب، وقد عكفت على المصحف: تلاوة، وتدبرا، وتفهما، وتأملا... مما أثار انتباه أبيها الفاروق (عمر بن الخطاب)؛ إلى عظيم اهتمامها بكتاب الله -تبارك وتعالى-!! مما جعله يوصي بالمصحف الشريف، الذي كتب في عهد أبي بكر الصديق، بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى ابنته -أم المؤمنين- حفصة -رضي الله عنها! -

وكتب المصحف الشريف بالترتيب الذي عارضه به جبريل -آخر مرتين- في شهر رمضان المبارك، من عام وفاته -صلى الله عليه وسلم-.

حفظ نسخة القرآن المكتوب عند حفصة: الوديعة الغالية:

روى أبو نعيم، عن ابن شهاب، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، قال: " لما أمرني أبو بكر، فجمعت القرآن، كتبته في قطع الأدم، وكسر الأكتاف، والعسب؛ فلما هلك أبو بكر -رضي الله عنه- [أي: توفي]، كان عمر قد كتب ذلك في صحيفة واحدة، فكانت عنده-[أي: على رق من نوع واحد]- فلما هلك عمر -رضي الله عنه- كانت الصحيفة عند حفصة، زوجة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم أرسل عثمان -رضي الله عنه- إلى حفصة -رضي الله عنها-، فسألها أن تعطيه الصحيفة؛ وحلف ليردنها إليها، فأعطته. فعرض المصحف عليها، فردها إليها، وطابت نفسه، وأمر الناس فكتبوا المصاحف! ...

ولما أجمع الصحابة على أمر -أمير المؤمنين- عثمان بن عفان، في جمع الناس على مصحف إمام، يستنسخون منه مصاحفهم؛ "أرسل -أمير المؤمنين- عثمان إلى -أم المؤمنين- حفصة -رضي الله عنها:- أن أرسلي إلينا بالصحف، ننسخها في المصاحف ".

تلك هي الوديعة الغالية!!... التي أودعها -أمير المؤمنين- عمر بن الخطاب ابنته حفصة -أم المؤمنين-؛ فحفظتها بكل أمانة، ورعتها بكل صون؛ فحفظ لها الصحابة، والتابعون، وتابعوهم -من المؤمنين- إلى يومنا هذا!... وإلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها!

ذلك الذكر الجميل، الذي تذكر فيه، كلما تذاكر المسلمون جمع المصحف الشريف في مرحلتيه: في عهد الصديق أبي بكر، وعهد -ذي النورين- عثمان!

وبعد مقتل عثمان، إلى آخر أيام علي؛ بقيت حفصة عاكفة على العبادة، صوامة قوامة، إلى أن توفيت، في أوائل عهد معاوية بن أبي سفيان، وشيعها أهل المدينة، إلى مثواها الأخير، في البقيع، مع أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-.

❋ ❋ ❋

زينب بنت خزيمة الهلالية

أم المساكين -رضي الله عنها-

"أول من دفن من أمهات المؤمنين في المدينة "

اسمها ولقبها:

هي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، الهلالية، ولم يختلف المؤرخون في نسبها من جهة أبيها. كما صرح ابن عبد البر، في ترجمتها، بالاستيعاب بعد سياق نسبها. وهو ما أجمعت عليه المصادر التاريخية لترجمتها أو نسبها، وأما من جهة أمها فأغفلته. ونقل ابن عبد البر فيها قول أبى الحسن الجرجاني -النسابة-، وكانت زينب بنت خزيمة، أخت ميمونة بنت الحارث -أم المؤمنين- لأمها، وكانت تدعى في الجاهلية -أم المساكين- وأجمعت المصادر على وصفها بالطيبة، والكرم، والعطف على الفقراء والمساكين، في الجاهلية والإسلام، ولا يكاد اسمها يذكر؛ في أي كتاب إلا مقرونا بلقبها الكريم: [أم المساكين].

زواجها من الرسول صلى الله عليه وسلم:

زينب بنت خزيمة، هي إحدى زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم-، والتي لم يمض -على دخول حفصة البيت المحمدي- وقت قصير حين دخلته أرملة شهيد قرشي، من المهاجرين الأولين، فكانت بذلك رابع أمهات المؤمنين. ويبدو أن قصر مقامها ببيت الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد صرف عنها كتاب السيرة، ومؤرخي عصر المبعث؛ فلم يصل من أخبارها سوى بضع روايات، لا تسلم من تناقض، واختلاف!

وزينب بنت خزيمة، أرملة شهيد قرشي، من المهاجرين الأولين، هو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، قتل عنها في بدر، فتزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- (سنة 3 هجرية)، "ويقال: أنه كان زواجا شكليا"؛ حيث إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- تزوجها؛ بدافع الشفقة!

واختلف فيمن تولى زواجها، من النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ ففي الإصابة، عن ابن الكلبي:" أن رسول الله خطبها إلى نفسها، فجعلت

أمرها إليه، فتزوجها". وقال ابن هشام، في السيرة: "زوَّجه إياها عمها قبيصة بن عمرو الهلالي، وأصدقها الرسول [أربعمائة درهم]".

واختلفوا أيضا في المدة التي أقامتها ببيت النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ ففي الإصابة رواية، تقول: "كان دخوله -صلى الله عليه وسلم- بها بعد دخوله على حفصة بنت عمر -رضي الله عنها-، ثم لم تلبث عنده شهرين أو ثلاثة وماتت". ورواية أخرى، عن ابن كلبي، تقول: "فتزوجها في شهر رمضان سنة ثلاث، فأقامت عنده ثمانية أشهر، وماتت في ربيع الآخر سنة أربع". وفي شذرات الذهب: "وفيها -يعني السنة الثالثة- دخل بزينب بنت خزيمة العامرية، أم المساكين، وعاشت عنده ثلاثة أشهر، ثم توفيت".

وكانت زينب بنت خزيمة- رضي الله عنها - أجودهن ؛ يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأبرهن باليتامى والمساكين، حتى كانت تعرف بأم المساكين.

وفاتها:

الراجح، أنها ماتت في الثلاثين من عمرها، كما ذكر "الواقدي"، ونقل "ابن حجر" في الإصابة: "ورقدت في سلام كما عاشت في سلام. وصلى عليها النبي عليه الصلاة والسلام، ودفنها بالبقيع في شهر ربيع الآخر سنة أربع، فكانت أول من دفن فيه من أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن. وقد ماتت بعد زواجها بثمانية أشهر -رضي الله عنها- ولم يمت منهن -أمهات المؤمنين- في حياته إلا غير السيدة خديجة أم المؤمنين الأولى- ومدفنها بالحجون في مكة- والسيدة زينب بنت خزيمة الهلالية، أم المؤمنين وأم المساكين".

❋ ❋ ❋

هند أم سلمة المخزومية

بنت زاد الراكب - رضي الله عنها-

نسبها:

هي هند بنت سهيل -المعروف بأبي أمية بن المغيرة-، أم سلمة. (ويقال أن اسم جدها المغيرة: هو حذيفة، ويعرف بزاد الركب). وهي قرشية مخزومية. وكان جدها المغيرة يقال له: زاد الركب؛ وذلك لجوده؛ حيث كان لا يدع أحدا ليسافر معه حامل زاده، بل كان هو الذي يكفيهم!

- وقد تزوجها أبو سلمة، عبد الله بن عبد الأسد المخزومي.

فضلها:

تُعدَّ السيدة أم سلمة من أكمل النساء: عقلا، وخلقا؛ فهي وزوجها -أبو سلمة- من السابقين إلى الإسلام. هاجرت مع أبي سلمة إلى أرض

الحبشة، وولدت له (سلمة)، ورجعا إلى مكة، ثم هاجرا معًا إلى المدينة، فولدت له ابنتين وابنا. وكانت أول امرأة مهاجرة تدخل المدينة. ومات أبو سلمة في المدينة، على إثر جرح، في غزوة أحد؛ بعد أن قاتل قتال المخلصين، المتعشقين للموت والشهادة!

وكان من دعاء أبي سلمة: (اللهم اخلفني في أهلي بخير)؛ فأخلفه برسول الله -صلى الله عليه وسلم- على زوجته أم سلمة، فصارت أمًا للمؤمنين، وعلى بنيه: سلمة، وعمر، وزينب، فصاروا ربائب في حجره المبارك- صلى الله عليه وسلم-، وذلك سنة أربع للهجرة (4هـ).

كما كانت تعد من فقهاء الصحابة، ممن كان يفتي؛ إذ عدها ابن حزم ضمن الدرجة الثانية، أي متوسطي الفتوى بين الصحابة -رضوان الله عليهم-، حيث قال: (المتوسطون فيما روي عنهم من الفتوى: عثمان، أبو هريرة، عبد الله بن عمرو، أنس، أم سلمة...) إلى أن عدهم ثلاثة عشر، ثم قال: (ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير).

زواج أم سلمة من النبي صلى الله عليه وسلم:

عندما انقضت عدتها: بعث إليها أبو بكر يخطبها؛ فلم تتزوجه، وخطبها النبي -صلى الله عليه وسلم- إشفاقًا عليها ورحمةً بأيتامها -أبناء وبنات أخيه من الرضاعة-. فقالت له: "مثلي لا يصلح للزواج، فإني تجاوزت السن، فلا يولد لي، وأنا امرأة غيور، وعندي أطفال". فأرسل إليها النبي -صلى الله عليه وسلم- خطابا يقول فيه: "أما السن فأنا أكبر منكِ، وأما الغيرة فيذهبها الله، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهدِ ولا غائب إلا أرضاني". فأرسلت أم سلمة ابنها -عمر بن أبي سلمة-؛ ليزوجها بالرسول صلى الله عليه وسلم.

ولَمَا تزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أم سلمة؛ حزنت عائشة -رضي الله عنها- حزنًا شديدًا لِمَا ذكروا لها من جمالِ أمِ سلمةَ، وقالت لَمَا رأتها: "والله أضعاف ما وصفت لي في الحسن والجمال". وكان رسول الله إذا صلى العصر، دخل على نسائه، فبدأ بأم سلمة، وكان يختمها بعائشة -رضي الله عنهن-.

وسافر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعض الأسفارِ، وأخذ معه [صفية بنت حيي، وأم سلمة]، فأقبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى هودج صفية، وهو يظن أنه هودج أم سلمة، وكان ذلك اليوم يومِ أم سلمة، فجعل النبي -عليه الصلاة والسلام- يتحدث مع صفية. فغارت أم سلمة!

وعلم الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقالت له: "تتحدث مع ابنة اليهودي في يومي، وأنت رسول الله، استغفر لي: فإنما حملني على هذه الغيرة...."

صفاتها وأخلاقها:

كان لأم سلمة رأي صائب، أشارت على النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم الحديبية؛ وذلك أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لَمَا صالح أهل مكة، وكتب كتاب الصلح بينه وبينهم، وفرغ من قضية الكتاب، قال لأصحابه: "قوموا، فانحروا، ثم حلقوا". فلم يقم منهم رجل، بعد أن قال ذلك ثلاثا!

فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت له أم سلمة: "يا نبي الله، أتحب ذلك! اخرج، ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك".

فقام – عليه الصلاة والسلام – فخرج، فلم يكلم أحدا منهم كلمة، فنحر بدنته، ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك: قاموا، فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا! [كناية عن سرعة المبادرة في الفعل].

وتعد أم سلمة خير مثال، يجب على أمهات وزوجات اليوم الاحتذاء به، من خلال تربيتها لأولادها التربية الأخلاقية الكريمة. وكانت خير زوجة، وأم صالحة: تملك العقل الراجح، والشخصية القوية، وكانت قادرة على اتخاذ قراراتها بنفسها، وتتسم شخصيتها: بحسن الأخلاق، والأدب.

وهذا ما يندر في كثير من الأمهات والزوجات في وقتنا الحالي!: كالعناية بالزوج، والنظر في أمور الأطفال، ومساعدة الزوج في أصعب

الأوقات، وتقدير حال زوجها. كل هذا نفتقده، في أمهات وزوجات اليوم؛ وذلك لاستهتارهن بأمور تربية الأطفال، وإهمال الزوج، وعدم رعايته، ومبالغتهن، واهتمامهن بأمور الدنيا، والتي غالبًا ما تكون زائفةً، لا معنى لها!

دور أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- في رواية الحديث

ومروياتها -رضي الله عنها- وتلاميذها:

روت أم المؤمنين [أم سلمة] -رضي الله عنها- الكثير الطيب، إذ تعد ثانيَ راويةٍ للحديثِ، بعد أمِ المؤمنينَ عائشة -رضي الله عنها-؛ إذ لها جملة أحاديث: قدرت -حسب كتاب [بقي بن مخلد]- ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثًا (378). اتفق لها البخاري ومسلم، على ثلاثة عشر حديثًا، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر.

ومجموع مروياتها: حسب ما ورد في [تحفة الأشراف] مائة وثمانية وخمسون حديثًا (158).

محتوى مروياتها رضي الله عنها:

كان لوجود [-أم المؤمنين- أم سلمة، و-أم المؤمنين- عائشة] -رضي الله عنهما-مكانة خاصة عند الصحابة، وكان تأخر وفاتهما، من بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-، كان من العوامل المهمة، التي جعلت الناس يقصدونهما خاصة للسؤال، والفتيا.

تربعت أم سلمة -رضي الله عنها- على سدة الرواية والفتيا، بعد وفاة -أم المؤمنين- عائشة -رضي الله عنها- [سنة 58ه]؛ لكونها آخر من تبقى من أمهات المؤمنين، الأمر الذي جعل مروياتها كثيرة، إذ جمعت بين: الأحكام، والتفسير، والآداب، والأدعية، والفتن....

وإن معظم مروياتها: في الأحكام، وما اختص بالعبادات أساسًا: كالطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. وفي أحكام الجنائز، وفي الأدب، وفي ستر العورة، وفي رفع الرأس إلى السماء عند الخروج من

البيت، والمرأة ترخي من إزارها ذراعًا. وروت في الأشربة، والنهي عن عجم النوى طبخًا وخلط النبيذ بالتمر... وفي النكاح، روت زواجها، وفي الإحداد، والرضاع... كما روت في المغازي، والمظالم، والفتن، في الجيش الذي يخسف به، وفي المهدي. وروت في المناقب، في ذكر علي وعمار. وهذا يدل على قوة حافظة أم سلمة واهتمامها بالحديث -رضي الله عنها-.

(للمزيد انظر آمال قرداش بنت الحسين، دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، كتاب الأمة، عدد [70])

تلاميذها:

نقل عنها مروياتها جيل من التلاميذ رجالًا ونساء، من مختلف الأقطار، حيث روى عنها - رضي الله عنها - خلق كثير.

- فمن الصحابة: أم المؤمنين عائشة، وأبو سعيد الخدري، وعمر بن أبي سلمة، وأنس بن مالك، وبريدة بن الحصين الأسلمي، وسليمان بن بريدة، وأبو رافع، وابن عباس - رضي الله عنهم.

- ومن التابعين، أشهرهم: سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وشقيق بن سلمة، وعبد الله بن أبي مليكة، وعامر الشعبي، والأسود بن يزيد، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، شهر بن حوشب، نافع بن جبير بن مطعم... وآخرون.

- ومن النساء: ابنتها زينب، هند بنت الحارث، وصفية بنت شيبة، وصفية بنت أبي عبيد، وأم ولد إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وعمرة بنت عبد الرحمن، وحكيمة، رميثة، وأم محمد ابن قيس.

- ومن نساء أهل الكوفة: عمرة بنت أفعى، جسرة بنت دجاجة، أم مساور الحميري، أم موسى (سرية علي)، جدة ابن جدعان، أم مبشر.

(انظر آمال قرداش بنت الحسين، دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، كتاب الأمة، عدد (70)

وفاة أم سلمة - رضي الله عنها.

كانت -أم المؤمنين- أم سلمة -رضي الله عنها- آخر من مات من أمهات المؤمنين؛ عمرت حتى بلغها مقتل الحسين، لم تلبث بعده إلا يسيرًا، وانتقلت إلى الله تعالى سنة (62ه)، وكانت قد عاشت نحوًا من تسعين سنة.

❋ ❋ ❋

زينب بنت جحش

رضي الله عنها

السيدة زينب بنت جحش، امرأة من علية نساء قريش، هذب الإسلام نفسها، وأضاء قلبها بنوره وضيائه، وأكسبها التقوى والخلق الكريم، فأصبحت درة من الدرر المكنونة نادرة الوجود، وتعتبر سيدة من سيدات نساء الدنيا، في الورع والتقوى والجود والتصدق، وقد غدت أما من أمهات المؤمنين، بزواجها من النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومما زادها شرفا وتقديرًا وذكرًا، عند المؤرخين على طول الدهر؛ ذكر قصة زواجها في القرآن الكريم! فبسببها أنزلت آية الحجاب، فرفعت مكانتها، وعلت منزلتها في محارب العبادة، فكانت أواهة حليمة، تصوم النهار، وتقوم الليل، وكانت سخية اليد، تجود بكل ما لديها، دون أن تبخل أو تتوانى في تقديم العون للفقراء والمحتاجين، حتى غدت مثالًا عظيمًا، في الكرم والجود والخلق الكريم، وقد لقبت بألقاب عديدة منها: أم المساكين، ومفزع الأيتام، وملجأ الأرامل، فهي

امرأة سباقة إلى فعل الخيرات، ولها سيرة ندية عطرة في تاريخنا الإسلامي.

بهذا تعتبر السيدة زينب -رضي الله عنها- قدوة عظيمة، لكل مسلمة تحتذي بأخلاقها وخصالها النبيلة، وتقتفي أثرها، ويهتدي بهديها؛ ليكون ذلك سببا لها في الفوز برضا الله تعالى، ورضا رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

اسمها ونسبها:

زينب بنت جحش، بن رياب بن يعمر بن مرة بن كثير بن غنم بن دوران بن أسد بن خزيمة، وتكنى بأم الحكم. من أخواها [حمزة بن عبد المطلب] -رضي الله عنه- الملقب بأسد الله وسيد الشهداء في غزوة أحد، [والعباس بن عبد المطلب]، الذي اشتهر ببذل المال وإعطائه في النوائب، وخالتها [صفية بنت عبد المطلب] الهاشمية، أم حواري رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [الزبير بن العوام الأسدي]. ولها أخوان هما: [عبد الله بن جحش الأسدي]، صاحب أول راية عقدت في

الإسلام، وأحد الشهداء، والآخر أبو أحمد، واسمه [عبد بن جحش الأعمى]، وهو أحد السابقين الأولين، ومن المهاجرين إلى المدينة، ولها أختان: إحداهما [أميمة بنت عبد المطلب] عمة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، والأخرى [حمنة بنت جحش]، وهي من السابقات إلى الإسلام.

"ولدت السيدة زينب -رضي الله عنها- في مكة المكرمة، قبل الهجرة، بأكثر من ثلاثين سنة"، وقيل أنها: " ولدت قبل الهجرة، بسبع عشرة سنة". وقد نشأت السيدة زينب بنت جحش في بيت شرف ونسب وحسب، وهي متمسكة بنسبها، ومعتزة بشرف أسرتها، وكثيرًا ما كانت تفتخر بأصلها، وقد قالت ذات مرة:"أنا سيدة أبناء عبد شمس".

إسلامها:

كانت السيدة زينب بنت جحش من اللاتي أسرعن في دخول الإسلام، وقد كانت تحمل -رضي الله عنها- قلبًا نقيًا مخلصًا لله

ورسوله، فأخلصت إسلامها، وقد تحملت أذى قريش وعذابها، إلى أن هاجرت إلى المدينة المنورة مع إخوانها المهاجرين، وقد أكرمهم الأنصار وقاسموهم منازلهم وناصفوهم أموالهم وديارهم.

أخلاق السيدة الفاضلة وأعمالها الصالحة:

تميزت -أم المؤمنين- زينب بمكانة عالية وعظيمة، وخاصة بعد أن غدت زوجة للرسول وأما للمؤمنين. كانت سيدة صالحة صوامة قوامة، تتصدق بكل ما تجود به يدها، على الفقراء والمحتاجين والمساكين، وكانت تصنع وتدبغ وتخرز وتبيع ما تصنعه وتتصدق به. وهي امرأة مؤمنة تقية أمينة تصل الرحم...

كرم السيدة زينب بنت جحش وعظيم إنفاقها:

هنالك العديد من المواقف، التي تشهد على عظيم عطاء -أم المؤمنين- زينب بنت حجش -رضي الله عنها-، وتؤكد على جودها وكرمها، وما تغدقه على المحتاجين بلا حدود:

- "أخرج الشيخان -واللفظ لمسلم- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله: "أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا" قالت: فكن -أمهات المؤمنين- يتطاولن، أيتهن أطول يدا، قالت: وكانت أطولنا يدا زينب؛ لأنها تعمل بيدها وتتصدق!

- وفي طريق آخر: قالت عائشة: "فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن بأطولنا؛ فعرفنا حينئذ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب امرأة صناع اليدين، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله."

- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "كانت زينب تغزل الغزل وتعطيه سرايا النبي - صلى الله عليه وسلم- يخيطون به ويستعينون به في مغازيهم".

- موقف آخر، يدل على بذلها المال وتصدقها به: "ما حدثت به برزة بنت رافع، فقالت: لما خرج العطاء، أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها. فلما أدخل إليها قالت: غفر الله لعمر بن الخطاب،

غيري من أخواتي كانت أقوى على قسم هذا مني. قالوا: هذا كله لك. قالت: سبحان الله، واستترت منه بثوب. ثم قالت: صبوه، واطرحوا عليه ثوبا. ثم قالت لي: ادخلي يديك، واقبضي منه قبضة، فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان من ذوي رحمها وأيتام لها. فقسمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب، فقالت برزة لها: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا المال حق. قالت زينب: فلكم ما تحت الثوب. فوجدنا تحته خمسمائة وثمانين درهما، ثم رفعت يدها إلى السماء ،فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا."

- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ما رأيت امرأة خيرا في الدين من زينب: أتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة -رضي الله عنها-."

- "عن عبدالله بن شداد، أن رسول الله قال لعمر: "إن زينب بنت جحش أواهة". قيل: يا رسول الله، ما الأواهة؟ قال: " الخاشعة المتضرعة" و{**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ**}

- وقالت عائشة فيها: "لقد ذهبت حميدة، متعبدة، مفزع اليتامى والأرامل".

- "قال ابن سعد -رحمه الله:- "ما تركت زينب بنت جحش -رضي الله عنها- درهمًا ولا دينارًا، وكانت تتصدق بكل ما قدرت عليه، وكانت مأوى المساكين".

رواية زينب للحديث الشريف:

كانت السيدة زينب - رضي الله عنها - من النساء اللاتي حفظن أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- ،ورويت عنها، وقد روت -رضي الله عنها- أحد عشر حديثًا، واتفق -الإمامان- البخاري ومسلم لها على حديثين منهم. وقد روى عنها العديد من الصحابة، منهم: ابن أخيها [محمد بن عبدالله بن جحش]، و[القاسم بن محمد بن أبي بكر]، و[مذكور]-مولاها-. وروى عنها الكثير من الصحابيات أيضًا، منهن: "[زينب بنت أبي سلمة]، وأمها -أم المؤمنين- [أم سلمة]، و-أم المؤمنين- [رملة بنت أبي سفيان] المعروفة بأم حبيبة -رضي الله عنها-،و [كلثوم بنت المصطلق] أيضًا.

- ومن الأحاديث الشريفة التي رويت عنها -رضي الله عنها:- "عن حميد بن نافع، عن زينب بنت أبي سلمة، أنها أخبرتها: دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها، فدعت بطيب فمست منه، ثم قالت: والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله يقول على المنبر: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم تحد على الميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا."

- ومما أخرجه البخاري: "عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن زينب بنت جحش، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دخل عليها يومًا فزعًا، يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب، من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه -وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها- ، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: " نعم، إذا كثر الخبث".

❋ ❋ ❋

جويرية بنت الحارث

نشأة جويرية أم المؤمنين:

هي برة، بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك، من خزاعة، كان أبوها سيد وزعيم بني المصطلق. عاشت برة في بيت والدها، معززة مكرمة، في ترف، وعز، وفي بيت تسوده العراقة، والأصالة، وتزوجت في حداثة سنها من [مسافع بن صفوان] -أحد فتيان خزاعة-، وكانت لم تتجاوز العشرين من عمرها.

بدايات النور:

بدأ الشيطان يتسلل إلى قلوب بني المصطلق، ويزين لهم بأنهم أقوياء، يستطيعون التغلب على المسلمين، فأخذوا يعدون العدة، ويتأهبون، لمقاتلة المجتمع المسلم، بقيادة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فتجمعوا لقتال رسو ل الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان بقيادتهم -سيدهم- [الحارث بن أبي ضرار]، وقد كانت نتيجة القتال: انتصار

النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهزيمة بني المصطلق في عقر دارهم. فما كان من النبي إلا أن سبى كثيرًا من الرجال والنساء، وكان [مسافع بن صفوان] -زوج جويرية- من الذين قتلتهم السيوف المسلمة، وقد كانت السيدة جويرية بنت الحارث من النساء اللاتي وقعن في السبي، فوقعت في سهم [ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري] -رضي الله عنه، عندها اتفقت معه على مبلغ من المال، تدفعه له مقابل عتقها؛ لأنها كانت تتوق للحرية.

زواج جويرية من الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

شاءت الأقدار أن تذهب السيدة جويرية، إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فرأتها السيدة عائشة -أم المؤمنين-، فقالت تصفها: "كانت حلوة ملاحة". وقالت: "فو الله ما رأيتها على باب حجرتي إلا كرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت". جاءت جويرية رسول الله، وقالت: "أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار -سيد قومه-، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت، فوقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبني على نفسه تسع أوراق، فأعني على فكاكي".

ولأن بني المصطلق كانوا من أعز العرب دارًا، وأكرمهم حسبا، ولحكمة النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لجويرية: " فهل لك في خير من ذلك؟".

قالت: "وما هو يا رسول الله؟".

قال: " أقضي عنك كتابتك وأتزوجك".

وكانت قبل قليل تتحرق، طلبًا لاستنشاق عبير الحرية؛ ولكنها وجدت الأعظم من ذلك! ففرحت جويرية فرحًا شديدًا، وتألق وجهها لِما سمعَته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولِما سَوف تلاقيه من أمان، من بعدِ الضياع والهوان، فأجابته، بدون تردد أو تلعثم: " نعم يا رسول الله". فتزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأصدقها أربعمائة درهم.

- قال أبو عمر القرطبي، في الاستيعاب: "كان اسمها برة، فغير رسول -صلى الله عليه وسلم- اسمها، وسماها جويرية. فأصبحت جويرية بعدها أمًا للمؤمنين، وزوجة لسيد الأولين والآخرين -صلى الله عليه وسلم-.

بركة جويرية:

خرج الخبر إلى مسامع المسلمين، فأرسلوا ما في أيديهم من السبي، وقالوا متعاظمين: "هم أصهار رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"، فكانت بركة جويرية من أعظم البركات على قومها.

قالت عنها السيدة عائشة -رضي الله عنها:- "فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة منها"

صفاتها وأهم ملامحها:

كانت السيدة جويرية من أجمل النساء، كما أنها تتصف بالعقل الحصيف، والرأي السديد الموفق الرصين، والخلق الكريم، والفصاحة، ومواقع الكلام، كما كانت تعرف بصفاء قلبها، ونقاء سريرتها، وزيادة على ذلك: فقد كانت واعية، تقية، نقية، ورعة، فقيهة، مشرقة الروح، مضيئة القلب والعقل.

الذاكرة القانتة:

راحت السيدة جويرية تحذو حذو أمهات المؤمنين، في الصلاة، والعبادة، وتقتبس من الرسول، ومن أخلاقه، وصفاته الحميدة، حتى

أصبحت مثلًا في الفضل والفضيلة. فكانت -أم المؤمنين- جويرية من العابدات، القانتات، السابحات، الصابرات، وكانت مواظبة على تحميد العلي القدير، وتسبيحه، وذكره.

ناقلة الحديث:

حدث عنها ابن عباس، وعبيد بن السباق، وكريب -مولى ابن عباس-، ومجاهد، وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي، وجابر بن عبد الله. بلغ مسندها في كتاب [بقي بن مخلد] سبعة أحاديث، منها: أربعة في الكتب الستة، عند البخاري حديث وعند مسلم حديثان.

وقد تضمنت مروياتها: أحاديث في الصوم، في عدم تخصيص يوم الجمعة بالصوم، وحديث في الدعوات، في ثواب التسبيح، وفي الزكاة، في إباحة الهدية للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وإن كان المهدي ملكها بطريق الصدقة، كما روت في العتق.

... وهكذا، وبسبعة أحاديث شريفة، خلدت -أم المؤمنين- جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها- اسمها في عالَم الرواية، لتضيف إلى

شرف صحبتها للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وأمومتها للمسلمين، تبليغها الأمة سنن المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، ما تيسر لها ذلك.

ومن الأحاديث، التي أخرجها الإمام البخاريُ -رحمه الله:- عن قتادة، عن أيوب، عن جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها-، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل عليها يوم الجمعة، وهي صائمة، فقال: "أصمت أمس؟" قالت:" لا "، قال: "تريدين أن تصومي غدا؟" قالت: "لا"، قال: "فأفطري". [وهذا يدل على كراهية تخصيص يوم الجمعة بالصوم والنهي عن صيامه].

لقاء الله (وفاتها):

عاشت السيدة جويرية بعد رسول الله راضية مرضية، وامتدت حياتها إلى خلافة سيدنا معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما-.

توفيت -أم المؤمنين- في شهر ربيع الأول من السنة الخمسين للهجرة النبوية الشريفة، وشيع جثمانها في البقيع، وصلى عليها مروان بن الحكم.

❋ ❋ ❋

أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان

نسبها ونشأتها:

أم المؤمنين، السيدة المحجبة، من بنات عم الرسول- صلى الله عليه وسلم-، رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. صحابية جليلة، ابنة زعيم، وأخت خليفة، وزوجة خاتم النبيين محمد-عليه الصلاة والسلام-؛

فأبوها أبو سفيان، زعيم ورئيس قريش، والذي كان في بداية الدعوة العدو اللدود للرسول -عليه الصلاة والسلام-، وأخوها معاوية بن أبي سفيان، أحد الخلفاء الأمويين، ولمكانة وجلالة منزلة أم حبيبة في دولة أخيها -في الشام-، قيل لمعاوية: "خال المؤمنين".

وأخيرًا، فهي من زوجات الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فليس هناك مَن هي أكثر كرمًا وصداقًا منها، ولا في نسائه مَن هي نائية الدار أبعد منها. وهذا دليل على زهدها، وتفضيلها لنعم الآخرة، على نعيم الدنيا الزائل.

كانت أم حبيبة، من ذوات رأي وفصاحة، تزوجها أولًا [عبيد الله بن جحش]، وعندما دعا الرسول -عليه الصلاة والسلام- الناس في مكة إلى الإسلام، أسلمت رملة مع زوجها في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وحينما اشتد الأذى بالمسلمين في مكة، هاجرت رملة بصحبة زوجها، فارة بدينها، متمسكة بعقيدتها، متحملة الغربة والوحشة، تاركة الترف والنعيم التي كانت فيها، بعيدة عن مركز الدعوة والنبوة، متحملة مشاق السفر والهجرة؛ فأرض الحبشة بعيدة عن مكة، والطريق تتخلله العديد من الطرق الوعرة، والحرارة المرتفعة، وقلة المؤونة، كما أن رملة في ذلك الوقت كانت في شهور حملها الأولى، في حين نرى بأن سفر هذه الأيام سفر راحة ورفاهية، ووسائل النقل المتطورة، ساعدت على قصر المسافة بين الدول... وبعد أشهر من بقاء رملة في الحبشة، أنجبت مولودتها "حبيبة"، فكنيت "بأم حبيبة".

رؤية أم حبيبة:

في إحدى الليالي، رأت أم حبيبة في النوم، أن زوجها عبيد الله في صورة سيئة، ففزعت من ذلك، وحينما أصبحت، أخبرها زوجها: "بأنه

وجد في دين النصرانية ما هو أفضل من الإسلام"، فحاولت رملة أن ترده إلى الإسلام، ولكنها وجدته قد رجع إلى شرب الخمر من جديد. وفي الليلة التالية، رأت في منامها أن هناك مناديًا يناديها بأم المؤمنين، فأولت أم حبيبة بأن الرسول سوف يتزوجها. وبالفعل؛ مع مرور الأيام، توفي زوجها على دين النصرانية، فوجدت أم حبيبة نفسها غريبة في غير بلدها، وحيدة بلا زوج يحميها، أمًّا لطفلة يتيمة في سن الرضاع، وابنة لأب مشرك تخاف من بطشه، ولا تستطيع الالتحاق به في مكة، فلم تجد هذه المرأة المؤمنة غير الصبر والاحتساب، فواجهت المحنة بإيمان وتوكلت على الله-سبحانه وتعالى-.

زواج أم حبيبة:

علم الرسول -صلى الله عليه وسلم- بما جرى لأم حبيبة، فأرسل إلى النجاشي طالبًا الزواج منها، ففرحت أم حبيبة، وصدقت رؤياها، فعهدها وأصدقها النجاشي [أربعمائة دينار]، ووَكلت هي ابن عمها [خالد بن سعيد بن العاص]، (وفي هذا دلالة على أنه يجوز عقد الزواج بالوكالة في الإسلام).

وبهذا الزواج...، خفف الرسول من عداوة بني أمية، فعندما علم أبو سفيان زواج الرسول من ابنته رملة، قال: "ذاك الفحل، لا يقرع أنفه!" -ويقصد أن الرسول رجل كريم-، وبهذه الطريقة...، خفت البغضاء التي كانت في نفس أبي سفيان على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، كما أن في هذا الموقف دعوة إلى مقابلة السيئة بالحسنة؛ لأنها تؤدي إلى دفع وزوال الحقد والضغينة، وصفاء النفوس بين المتخاصمين.

أبو سفيان في بيت أم حبيبة:

حينما نقض المشركون في مكة صلح الحديبية، خافوا من انتقام الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فأرسلوا أبا سفيان إلى المدينة؛ لعله ينجح في إقناع الرسول بتجديد الصلح... وفي طريقه إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، مر أبو سفيان على ابنته -أم حبيبة- في بيتها، وعندما هم بالجلوس على فراش الرسول -صلى الله عليه وسلم- سحبته أم حبيبة من تحته، وطوته بعيدًا عنه، فقال أبو سفيان: "أراغبة بهذا الفراش

يا بنية عني؟ أم بي عنه؟"، فأجابته: "بل به عنك، لأنه فراش الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وأنت رجل نجس غير مؤمن"، فغضب منها، وقال: "أصابك بعدي شر"، فقالت: "لا والله. بل خير".

وهنا نجد أن هذه المؤمنة-رضي الله عنها- أعطت أباها المشرك درسًا في الإيمان، ألا وهو: أن رابطة العقيدة أقوى من رابطة الدم والنسب! وأنه يجب علينا عدم مناصرة وموالاة الكفار، مهما كانت صلة المسلم بهم، بل يجب علينا محاربتهم ومقاتلتهم، من أجل نصرة الإسلام.

لذلك، جهز الرسول -صلى الله عليه وسلم- المسلمين لفتح مكة، وعلى الرغم من معرفة أم حبيبة لهذا السر، إلا أنها لم تخبر أباها، وحافظت على سر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسر المسلمين. ففتح المسلمون مكة، ودخل العديد من المشركين في دين الله، وأسلم أبو سفيان، فتكاملت أفراح أم حبيبة، وشكرت الله على هذا الفضل العظيم... وفي هذا الموقف إشارة إلى أنه يجب على المرأة المسلمة: حفظ سر زوجها، وعدم البوح به، حتى لأقرب الناس إليها؛ فهناك العديد

من النساء اللاتي يشركن الأهل في حل المشاكل الزوجية، والكثير من هؤلاء النسوة يطلقن؛ بسبب إفشائهن للسر، وتدخل الأهل. لذلك يجب على الزوجة الصالحة: المحافظة على بيت الزوجية، وعدم البوح بالأسرار.

دورها في رواية الحديث الشريف:

روت أم حبيبة -رضي الله عنها- عدة أحاديث عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-. بلغ مجموعها [خمسة وستين] حديثًا، وقد اتفق لها البخاري ومسلم على [حديثين].

ومن أشهر ما روت -رضي الله عنها- حديث في تحريم الربيبة وأخت المرأة: "فعن زينب بنت أم سلمة، عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، قالت: دخل عليَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، قلت: يا رسول الله، انكح أختي، ابنة أبي سفيان، قال: (وتحبين ذلك). فقلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من مشاركتي في الخير أختي. فقال: (إن

ذلك لا يحل لي). فقلت: يا رسول الله، فوالله إنا نتحدث أنك تريد أن تنكح درة بنت أبي سلمة؟ قال: (ابنة أم سلمة). فقلت: نعم، فقال: (فوالله لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي، إنها ابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن)". [الراوي: أم حبيبة بنت أبي سفيان، خلاصة الدرجة: [صحيح]، المحدث: البخاري، المصدر: الجامع الصحيح، الصفحة أو الرقم: 5372]

كذلك حديثها في فضل السنن الراتبة، قبل الفرائض وبعدهن. كما أنها ذكرت أحاديث في الحج، كاستحباب دفع الضعفة من النساء وغيرهن من المزدلفة إلى منى، في أواخر الليل قبل زحمة الناس. كما أنها روت في وجوب الإحداد للمرأة المتوفى عنها زوجها. وفي أبواب الصوم: روت في الدعاء بعد الأذان، وفي العير التي فيها الجرس لا تصحبها الملائكة، وغيرها من الأحاديث التي كانت تصف أفعال الرسول- عليه الصلاة والسلام- وأقواله.

وفاتها:

توفيت -رضي الله عنها- سنة [44] بعد الهجرة، ودفنت في البقيع، وكانت قد دعت عائشة -أم المؤمنين- قبل وفاتها، فقالت: "قد يكون بيننا وبين الضرائر، فغفر لي ولك ما كان من ذلك..." فقالت عائشة: "غفر الله لك ذلك كله وتجاوز، وحلك من ذلك. فقالت أم حبيبة: "سررتني سرك الله". وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك. وفي هذا إشارة: إلى ما يجب على المسلمين أن يفعلوه قبل ساعة الموت، ألا وهو التسامح والمغفرة، كما فعلت أم حبيبة مع أمهات المؤمنين -رضوان الله عليهن أجمعين-.

صفية بنت حيي بن أخطب

هي صفية بنت حيي بن أخطب، يتصل نسبها بهارون النبي -عليه السلام-...

تقول: "كنت أَحب ولد أبي إليه، وإلى عمي -أبي ياسر- لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذاني دونه، فلما قدِم رسول الله المدينة، غَدا عليه أبي وعمي مغلسين، فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، فأتيا كالين ساقطين، يمشيان الهوينا، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي أحد منهما، مع ما بهما من الغم! وسمعت عمي -أبا ياسر- وهو يقول لأبي: "أهو هو؟ قال نعم والله. قال عمي: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ أجاب: عداوته والله ما بقيت".

مولدها ومكان نشأتها:

لا يعرف تحديدًا تاريخ ولادة صفية، إلا أنها نشأت في الخزرج. كانت في الجاهلية من ذوات الشرف، ودانت باليهودية، وكانت من أهل المدينة. وأمها تدعى [برة بنت سموال].

حياتها قبل الإسلام:

كانت لها مكانة عزيزة عند أهلها. ذكر أنها تزوجت مرتين قبل اعتناقها الإسلام، وكان يدعى أول أزواجها [سلام بن مشكم]، كان فارس القوم وشاعرهم، ثم فارقته، وتزوجت من [كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النصري] صاحب حصن القموص، أعز حصن عند اليهود. وقتل كنانة عنها يوم خيبر.

صفاتها:

عرف عن صفية: أنها صاحبة شخصية فاضلة، جميلة، حليمة، ذات شرف رفيع.

كيف تعرفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

استعد رسول الله -عليه الصلاة والسلام- في السنة السابعة من شهر محرم لمحاربة اليهود، فعندما أشرف عليها قال: " الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين". واندلع القتال بين

المسلمين واليهود: فقتل رجال خيبر، وسبيت نساؤها، ومن بينهم صفية، وفتحت حصونها، ومن هذه الحصون كان حصن ابن أبي الحقيق.

عندما عاد بلال بالأسرى مر بهم ببعض من قتلاهم، فصرخت ابنة عم صفية، وحثت بالتراب على وجهها، فتضايق رسول الله من فعلتها، وأمر بإبعادها عنه. وقال لصفية بأن تقف خلفه، وغطى عليها بثوبه حتى لا ترى القتلى. [فقيل: إن الرسول اصطفاها لنفسه].

وذكر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غزا خيبر.....، فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس، فركب نبي الله -صلى الله عليه وسلم-، وركب أبو طلحة، وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله -صلى الله عليه وسلم- في زقاق خيبر، وإن ركبتي لتمس فخذ نبي الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم حسر الإزار عن فخذه، حتى إني أنظر إلى بياض فخذ نبي الله -صلى الله عليه وسلم-. فلما دخل القرية، قال: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين. [قالها ثلاثا]. قال: وخرج القوم إلى أعمالهم، فقالوا: محمد -قال عبد العزيز: وقال بعض

أصحابنا: والخميس، يعني الجيش- قال: فأصبناها عنوة، فجمع السبي، فجاء دحية، فقال: يا نبي الله، أعطني جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية. فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا نبي الله، أعطيت دحية صفية بنت حيي، سيدة قريظة والنضير، لا تصلح إلا لك، قال: ادعوه بها. فجاء بها، فلما نظر إليها النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: خذ جارية من السبي غيرها. قال: فأعتقها النبي -صلى الله عليه وسلم- وتزوجها. فقال له ثابت: يا أبا حمزة، ما أصدقها؟ قال: نفسها، أعتقها وتزوجها، حتى إذا كان بالطريق، جهزتها له أم سليم، فأهدتها له من الليل، فأصبح النبي -صلى الله عليه وسلم- عروسا، فقال: من كان عنده شيء فليجيء به. وبسط نطعا، فجعل الرجل يجيء بالتمر، وجعل الرجل يجيء بالسمن، قال: وأحسبه قد ذكر السويق، قال: فحاسوا حيسا، فكانت وليمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

[الراوي: أنس بن مالك، خلاصة الدرجة: [صحيح]، المحدث: البخاري، المصدر: الجامع الصحيح، الصفحة أو الرقم: 371]

إسلامها:

إن رسول الله لا يجبر أحدًا على اعتناق الإسلام، كما هي عادته -صلى الله عليه وسلم-، وإنما يكون المسلم مقتنعًا بما أنزل الله من كتاب وسنة. وسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صفية بنت حيي عن ذلك، وخيرها بين البقاء على دين اليهودية أو اعتناق الإسلام. فإن اختارت اليهودية أعتقها، وإن أسلمت سيمسكها لنفسه. وإنما كان اختيارها الإسلام، الذي جاء عن رغبة صادقة في التوبة، وحبًّا لهدي محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-.

وعند قدومها من خيبر...، أقامت في منزل لحارثة بن النعمان، وقدمت النساء لرؤيتها، لما سمعوا عن جمالها، وكانت من بين النساء عائشة -رضي الله عنها- [ذكر بأنها كانت منتقبة]، وبعد خروجها سألها رسول الله عن صفية، فردت عائشة: "رأيت يهودية". قال رسول الله: "لقد أسلمت وحسن إسلامها".

يوم زفافها لمحمد عليه الصلاة السلام:

أخذها رسول الله إلى منزل في خيبر، ليتزوجا؛ ولكنها رفضت. فأثر ذلك في نفس رسولنا الكريم... فأكملوا مسيرهم إلى الصهباء، وهناك قامت [أم سليم بنت ملحان] بتمشيط صفية وتزينها وتعطيرها، حتى ظهرت عروسًا تلفت الأنظار. كانت تغمرها الفرحة، حتى أنها نسيت ما ألم بأهلها، وأقيمت لها وليمة العرس. أما مهرها فكان خادمةً تدعى [رزينة]. وعندما دخل الرسول -عليه الصلاة والسلام- على صفية، أخبرته بأنها في ليلة زفافها بكنانة رأت في منامها قمرًا يقع في حجرها، فأخبرت زوجها بذلك، فقال غاضبًا: لكأنك تمنين ملك الحجاز محمدًا، ولطمها على وجهها. ثم سألها الرسول -عليه الصلاة والسلام- عن سبب رفضها للعرس في خيبر، فأجابته: أنها خافت عليه قرب اليهود.

قالت [أمية بنت أبي قيس]: سمعت أنها لم تبلغ سبع عشرة سنة، يوم زفت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

مواقفها مع زوجات النبي:

بلغ صفية أن حفصة قالت: "بنت يهودي". فبكت، فدخل عليها النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي تبكي، فقال: ما يبكيك. قالت:

"قالت لي حفصة: إني ابنة يهودي". فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- "وإنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك"، ثم قال: "اتقي الله يا حفصة" [الراوي: أنس بن مالك - خلاصة الدرجة: إسناده صحيح - المحدث: الألباني - المصدر: مشكاة المصابيح - الصفحة أو الرقم: 6143]

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم حج بنسائه، حتى إذا كان ببعض الطريق نزل رجل، فساق بهم فأسرع، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- "كذاك سوقك بالقوارير -يعني النساء-"، فبينا هم يسيرون، برك بصفية ابنة حيي جملها، وكانت من أحسنهن ظهرا، فبكت. وجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى أخبر بذلك، فجعل يمسح دموعها بيده، وجعلت تزداد بكاء، وهو ينهاها... فلما أكثرت: زجرها، وانتهرها، وأمر الناس فنزلوا، ولم يكن يريد أن ينزل. قالت: فنزلوا وكان يومي. فلما نزلوا ضرب خباء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ودخل فيه، قالت: فلم أدر على ما أهجم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فخشيت أن يكون في نفسه شيء، فانطلقت إلى عائشة، فقلت لها: تعلمين أني لم أكن لأبيع يومي من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

أبدًا، وإني قد وهبت يومي لك، على أن ترضي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عني، قالت: نعم. قال: فأخذت عائشة خمارًا لها قد ثردته بزعفران، فرشته بالماء ليذكى ريحه، ثم لبست ثيابها، ثم انطلقت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فرفعت طرف الخباء، فقال: مالك يا عائشة، إن هذا ليس بيومك. قالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. قال: مع أهله، فلما كان عند الرواح قالت لزينب بنت جحش: أفقري أختك صفية جملا، وكانت من أكثرهن ظهرا، فقالت أنا أفقر يهوديتك، فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- حين سمع ذلك منها، فهجرها فلم يكلمها، حتى قدم مكة، وأيام منى في سفره، حتى رجع إلى المدينة، والمحرم وصفر، فلم يأتها، ولم يقسم لها، حتى يئست منه، فلما كان شهر ربيع الأول، دخل عليها، فرأت ظله، فقالت: إن هذا لظل رجل، وما يدخل علي النبي -صلى الله عليه وسلم-، فدخل النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما دخل قالت: يا رسول الله، ما أدري ما أصنع، حين دخلت علي. قال: وكانت لها جارية، وكانت تخبؤها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقالت: فلانة لك. فمشى النبي -صلى الله عليه وسلم-

إلى سرير زينب، وكان قد رفع، فوضعه بيده، ثم أصاب أهله، ورضي عنهم.

(الراوي: صفية بنت حيي - خلاصة الدرجة: [فيه] شمية أو سمية [الراوي عن صفية] فإن كانتا واحدة فالحديث صحيح - المحدث: الألباني - المصدر: السلسلة الصحيحة - الصفحة أو الرقم: 7/ 621)

وفاة النبي عليه الصلاة والسلام:

عن زيد بن أسلم، قال: اجتمع نساء النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في مرضه الذي توفي فيه، واجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حيي: إني والله يا نبي الله، لوددت أن الذي بك بي. فغمزن أزواجه ببصرهن، فقال: مضمضن. فقلن من أي شيء؟ فقال: من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة.

(الراوي: زيد بن أسلم - خلاصة الدرجة: إسناده حسن - المحدث: ابن حجر العسقلاني - المصدر: الإصابة - الصفحة أو الرقم: 4/ 347).

وبعد وفاته -صلى الله عليه وسلم- افتقدت الحماية والأمن، فظل الناس يعيرونها بأصلها.

مواقف أخرى لصفية:

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- معتكفا، فأتيته أزوره ليلا، فحدثته، وقمت فانقلبت، فقام معي ليقلبني. وكان مسكنها في دار [أسامة بن زيد] فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي -صلى الله عليه وسلم- أسرعا، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- على رسلكما، إنها صفية بنت حيي. قالا: سبحان الله يا رسول الله!! قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، فخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا -أو قال: شرًا-.

(الراوي: صفية - خلاصة الدرجة: صحيح - المحدث: الألباني - المصدر: صحيح أبي داود - الصفحة أو الرقم: 4994)

وفي عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه:- جاءته جارية لصفية، تخبره: بأن صفية تحب السبت، وتصل اليهود. فلما استخبر صفية عن

ذلك، فأجابت قائلة "فأما السبت، لم أحبه، بعد أن أبدلني الله به بيوم الجمعة، وأما اليهود، فإني أصل رحمي". وسألت الجارية عن سبب فعلتها، فقالت: الشيطان. فأعتقتها صفية.

روايتها للحديث:

لها في كتب الحديث عشرة أحاديث. أخرج منها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه-.

روى عنها: ابن أخيها، ومولاها كنانة، ويزيد بن معتب، وزين العابدين بن علي بن الحسين، وإسحاق بن عبدالله بن الحارث، ومسلم بن صفوان.

وفاتها:

توفيت في المدينة، في عهد الخلفية معاوية، سنة [50] هجريًا، ودفنت بالبقيع، مع أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن جميعًا-.

الخاتمة:

من خلال ما قرأت عن حياة صفية بنت حيي -رضي الله عنها-، أعجبني موقفها مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، عندما سألها: عن يوم السبت، وزيارتها لليهود. فعلى الرغم من إسلامها، إلا أنها لم تنس أهلها، وهذا الشيء حث عليه ديننا الحنيف.

❋ ❋ ❋

صفية بنت عبد المطلب

عمَّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

" إن أول امرأة قتلت رجلًا، لصفية بنت عبد المطلب! "

صفيّة بنت عبد المطلب، بن هاشم بن عبد مناف، القرشية، الهاشمية، شقيقة: حمزة بن عبد المطلب، أمهما: هالة بنت وهيب بن مناف بن زهرة، كانت في الجاهلية زوجة [الحارث بن حرب بن أمية]، أخي [أبي سفيان]، فمات عنها. فتزوّجها العوّام بن خويلد، فولدت له الزبير، والسائب، وعبد الكعبة.

أسلمت صفية قديمًا، وهاجرت إلى المدينة، وكانت أول مسلمة قتلت يهوديًا، وكانت قد قاتلت يوم أحد.

بيعة النساء:

لقد بايع الرسول -صلى الله عليه وسلم- الصحابيات على الإسلام، وما مسّت يدُهُ يد امرأة منهنّ، وكانت عمّته صفية -رضي الله عنها-

معهن، فكان لبيعتها أثرٌ واضح في حياتها، بإيمانها بالله ورسوله، ومعروفها لزوجها، وحفاظها على نفسها، والأمانة والإخلاص في القول والعمل، قال تعالى: (**يا أيُّها النّبي إذا جاءَك المؤمناتُ يبايِعْنَكَ على أن لا يُشْرِكْنَ بالله شيئًا ولا يَسْرِقْنَ ولا يَزْنينَ ولايَقْتُلن أولادهُنَّ ولا يأتينَ ببُهْتانٍ يفترينه بين أيْديهنَّ وأرجُلهنَّ ولا يَعْصينك في معروفٍ فبايِعْهُنّ واستغفرْ لهُنَّ اللهَ إنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ**).

فضلها:

لم تكن صفية -رضي الله عنها- لتنسى قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أول أيام إسلامها، لمّا نزل قوله تعالى: (**وأنذر عشيرتك الأقْربين**). قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال: (يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئْتُمُ). فخصّها بالذكر كما خصّ ابنته فاطمة، أحب الناس إليه!

جهادها:

لم يفرض الإسلام على المرأة الجهاد، كما فرضه على الرجل، ولكنه لم يمنعها من التطوع له؛ إن كانت قد رأت في ذلك ضرورة، ولقد كانت صفيّة -رضي الله عنها- من اللواتي قد شاركن المجاهدين يوم أحُد، فقد جاءت وقد انهزم الناس، وبيدها رمح تضرِبُ في وجوه الناس، وتقول: (انهزمتم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-!) تنكر عليهم ذلك، وتحُثَّهم على الثبات، وعند مصرع أخيها حمزة -رضي الله عنه- كانت رابطة الجأش قوية صابرة، لم تخُرْ عزيمتها، وقالت: (ذلك في الله! فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتَسبنَّ، ولأصبرنَّ، إن شاء الله).

وفي غزوة الخندق، كان لها موقف لا مثيل له في تاريخ نساء البشر، وتقول صفية عن نفسها في ذلك: (أنا أول امرأةٍ قتلتْ رجلًا)، وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لّما خرج الى الخندق، جعل نساءَه في أطُمٍ -مكان مرتفع- يقال له فارع، وجعل معهن حسان بن ثابت، وهو يناهز الستين من العمر، فجاء إنسان من اليهود، فرقي في الحصْن حتى أطلّ عليهم، قالت صفية لحسان: (قُم فاقتله)، فقال: (لو كان

ذلك فيّ كنت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-)، قالت صفية: (فقمت إليه، فضربته حتى قطعتُ رأسه، وقلت لحسان:

(قم فاطرحْ رأسه على اليهود، وهم في أسفل الحصن)، فقال: (والله ما ذلك إليّ)، قالت: (فأخذتُ رأسه فرميت به عليهم)، فقالوا: (قد علمنا أن هذا لم يكن ليترك أهله خُلوًا ليس معهم أحد)، فتفرّقوا.

وفاتها:

توفيت -رضي الله عنها- في خلافة عمر سنة عشرين، ولها من العمر ثلاث وسبعون سنة، ودفنت في البقيع.

❋ ❋ ❋

أسماء بنت أبى بكر

ذات النطاقين -رضي الله عنها-

نسبها:

كانت أسماء بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنها- تحمل نسبًا شريفًا عاليًا، جمعت فيه بين المجد والكرامة والإيمان، فوالدها هو صاحب رسول الله، وثاني اثنين في الغار، وخليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وفيه يقول الشاعر:

ومن من الناس مثل أبي بكر .....أنت خير الخلق بعد الأنبياء

تزوج النبي -صلى الله عليه وسلم- بأختها عائشة -رضي الله عنها، بنت الصديق، أحد المبشرين بالجنة، وأفضل الصحابة. أما عن جدها فهو [عتيق] والد أبي بكر، ويقال: [عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر]، القرشي، التميمي، ولد بمكة، ونشأ سيدًا من سادات قريش، وغنيًا من كبار موسريهم، وعالمًا بأنساب القبائل، وأخبارها وسياستها. أما زوج أسماء -فحواري رسول الله- [الزبير بن العوام]، وابنها [عبد الله بن

الزبير بن العوام] -رضي الله عنهم أجمعين-. وأمها [قتيلة بنت عبد العزى]، قرشية، من بني عامر بن لؤي، وقد اختلفت الروايات في إسلامها، وهي قرشية تيمية بكرية.

مولدها:

ولدت أسماء في مكة المكرمة، في قبيلة قريش، أخوها [عبد الله بن أبي أبكر]،الذي يكبرها ببضع سنوات، وهي أكبر من السيدة عائشة، بعشر سنوات، وهي أختها من أبيها، وهي من الذين ولدوا قبل الهجرة 27عامًا.

إسلامها:

عاشت أسماء -رضي الله عنها- حياة كلها إيمان منذ بدء الدعوة الإسلامية، فهي من السابقات إلى الإسلام، ولقد أسلمت بمكة، وبايعت النبي -صلى الله عليه وسلم- على الإيمان والتقوى، ولقد تربت على مبادئ الحق والتوحيد والصبر، متجسدة في تصرفات والدها، ولقد

أسلمت عن عمرٍ لا يتجاوز الرابعة عشرة، وكان إسلامها بعد سبعة عشر إنسانًا.

شخصيتها:

كانت على قدرٍ كبيرٍ من الذكاء، والفصاحة في اللسان، وهي ذات شخصية متميزة، تعكس جانبًا كبيرًا من تصرفاتها، وكانت حاضرة القلب، تخشى الله في جميع أعمالها.

بلغت أسماء -رضي الله عنها- مكانة عالية في رواية الحديث، وقد روى عنها: أبناؤها، عبد الله، وعروة ،وأحفادها، ومنهم فاطمة بنت المنذر، وعباد بن عبد الله، وقد روت في الطب، وكيفية صنع الثريد، وفي تحريم الوصل، وغيرها من أمور... وكان الصحابة والتابعون يرجعون إليها في أمور الدين، وقد أتاح لها هذا عمرها الطويل، ومنزلتها الرفيعة.

تزوجها رجل عفيف، مؤمن، من العشرة المبشرين بالجنة، ألا وهو الزبير بن العوام، فكانت له خيرة الزوجات، ولم يكن له من متاع الدنيا إلا منزل متواضع وفرس، كانت تعلف الفرس، وتسقيه الماء، وترق

النوى لناضحه، وكانت تقوم بكل أمور البيت: حيث تهيئ الطعام والشراب لزوجها، وتصلح الثياب، وتلتقي بأقاربها وأترابها؛ لتتحدث عن أمور الدين الجديد، وتنقل هذا إلى زوجها، فقد كانت من الداعيات إلى الله -عز وجل-. وظلت أسماء -رضي الله عنها- تعيش حياة هانئة، طيبة، مطمئنة، في ظل زوجها، مادام الإيمان صادقًا في قلوبهم، ومادام ولاؤهم لله، وما داموا في اتباع لسنة الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

أنجبت أسماء -رضي الله عنها- أول غلامٍ في الإسلام بعد الهجرة، وسمته [عبد الله]، وكان الزبير قاسيًا في معاملته، ولكنها كانت تقابل ذلك: بالصبر، والطاعة التامة، وحسن العشرة، وبعد زمن طلقها الزبير بن العوام. وقيل: "إن سبب طلاقها أنها اختصمت هي والزبير، فجاء ولدها عبد الله ليصلح بينهما، فقال الزبير: إن دخلت فهي طالق فدخل، فطلقها"، وكان ولدها يجلها، ويبرها، وعاش معها ولدها عبد الله، أما ولدها عروة: فقد كان صغيرًا آنذاك، فأخذه زوجها الزبير. وقد ولدت للزبير غير عبد الله وعروة: المنذر، وعاصم، والمهاجر، وخديجة الكبرى، وأم الحسن، وعائشة -رضي الله عنهم-.

ذات النطاقين:

وفي أثناء الهجرة، هاجر من المسلمين من هاجر إلى المدينة، وبقي أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-؛ ينتظر الهجرة مع النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة، فأذن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالهجرة معه. وعندما كان أبو بكر الصديق -رضي لله عنه- يربط الأمتعة، ويعدها للسفر، لم يجد حبلًا ليربط به الزاد -الطعام والسقا- فأخذت أسماء -رضي الله عنها- نطاقها، الذي كانت تربطه في وسطها، فشقته نصفين، وربطت به الزاد. وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يرى ذلك كله، فسماها: [أسماء ذات النطاقين]-رضي الله عنها-، ومن هذا الموقف جاءت تسميتها بهذا اللقب.

وقال لها الرسول -صلى الله عليه وسلم- (أبدلك الله عز وجل بنطاقك، هذا نطاقين في الجنة)، وتمنت أسماء الرحيل مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومع أبيها، وذرفت الدموع، إلا أنها ظلت مع إخوتها

في البيت، تراقب الأحداث، وتنتظر الأخبار... وقد كانت-رضي الله عنها:- تأخذ الزاد والماء، للنبي -صلى الله عليه وسلم- ،ولوالدها أبي بكر الصديق، غير آبهة بالليل والجبال والأماكن الموحشة. لقد كانت تعلم أنها في رعاية الله وحفظه، ولم تخش في الله لومة لائم.

وفي أحد الأيام، وبينما كانت نائمة، أيقظها طرق قوي على الباب، وكان أبو جهل يقف، والشر والغيظ يتطايران من عينيه، سألها عن والدها، فأجابت: أنها لا تعرف عنه شيئًا، فلطمها لطمةً على وجهها، طرحت منه قِرطها.

وكان لأسماء إرادة وكبرياء قويين، فمن المواقف التي تدل على ذكائها: أن جدها أبا قحافة كان خائفًا على أحفاده، ولم يهدأ له بال، لأنهم دون مال. فقامت أسماء ووضعت قطعًا من الحجارة، في كوة صغيرة، وغطتها بثوبٍ، وجعلت الشيخ يتلمسه، وقالت: إنه ترك لهم الخير الكثير، فاطمأن، ورضي عن ولده. ونجحت أسماء في هذا التصرف، ونجح محمد -صلى الله عليه وسلم- وصاحبه في الوصول إلى المدينة المنورة.

روايتها عن الرسول:

روت أسماء -رضي الله عنها:- [خمسة وثمانين] حديثًا، وفي رواية أخرى: [ستة وخمسين] حديثًا.

اتفق لها البخاري ومسلم على [أربعة عشر] حديثًا، وانفرد البخاري [بأربعة]، وانفرد مسلم [بمثلها].

وفي رواية: أخرج لأسماء من الأحاديث في الصحيحين [اثنان وعشرون]، المتفق عليه منها [ثلاثة عشر]، والبخاري [خمسة]، ولمسلم [أربعة].

مواقف وأحداث:

- كانت أسماء تأمر: أبناءها، وبناتها، وأهلها، بالصدقة. تقول: أنفقوا، أو أنفقن، وتصدقن، ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل، لم تفضلن شيئًا، وإن تصدقتن، لم تجدن فقده.

- وعن عبد الله بن عروة، عن جدته أسماء، قال: قلت لها: كيف كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يفعلون إذا قرئ عليهم

القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله، تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم. قال: فأن ناسًا إذا قرئ عليهم القرآن، خر أحدهم مغشيًا عليه. قالت: أعوذ بالله من الشيطان.

- وفي خلافة ابنها عبد الله أميرًا للمؤمنين، جاءت فحدثته بما سمعت عن رسول الله، بشأن الكعبة، فقال: إن أمي [أسماء بنت أبي بكر الصديق] حدثتني أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لعائشة: (لولا حداثة عهد قومك بالكفر، لرددت الكعبة على أساس إبراهيم، فأزيد في الكعبة من الحجر). فذهب عبد الله بعدها، وأمر بحفر الأساس القديم، وجعل لها بابين، وضم حِجر إسماعيل إليها. هكذا كانت تنصح ابنها ليعمل بأمر الله ورسوله!

- وقد كانت امرأة جليلة، تقية، ورعة، جادة في الحياة. عندما قدم ولدها [المنذر بن الزبير] من العراق، أرسل لها كسوة من ثياب رقاق شفافة تصف الجسد، فرفضتها. فقال المنذر: يا أماه، إنه لا يشف. قالت: "إنها إن لم تشف؛ فإنها تصف". ومن جرأتها وجهادها؛ خروجها مع زوجها، وابنها في غزوة اليرموك.

آخر المهاجرات وفاة:

توفيت أسماء سنة ثلاث وسبعين، بعد مقتل ابنها بقليل، عن عمرٍ يناهز مئة سنة. ولم يسقط لها سن، ولم يغب من عقلها شيء.

انتهت حياة أسماء -ذات النطاقين- رضي الله عنها وأرضاها، وانتقلت إلى جوار ربها، تاركة دروسًا، وعِبرًا، ومواعظًا، خالدةٍ في الإسلام، فقد كانت بنتًا صالحة، وزوجةً مؤمنةً وفية، وأمًا مجاهدة، ربت أبناءها على أساسٍ إيماني قوي، وكانت صحابية، وابنة صحابي، وأم صحابي، وأخت صحابية، وحفيدة صحابي.

ويكفي أن -خير الخلق- نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-
لقبها بالوسام الخالد أبد الدهرِ (بذات النطاقين)!!!
فهنيئًا لك أيتها الأم الفاضلة

فاطمة بنت الخطاب

-رضي الله عنها-

اسمها ونسبها -رضي الله عنها-:

هي فاطمة بنت الخطاب، بن نفيل بن عبد العزى، القرشية، العدوية. لقبها [أميمة]، وكنيتها [أم جميل]. أمها [حنتمة بنت هاشم بن المغيرة]، القرشية، المخزومية. وهي أخت -أمير المؤمنين-، و-ثاني الخلفاء الراشدين- [عمر بن الخطاب] -رضي الله عنهما-. زوجة [سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل]، القرشي، العدوي، أحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. وقيل: إنها ولدت لسعيد بن زيد ابنه [عبد الرحمن].

صفاتها -رضي الله عنها-:

فاطمة بنت الخطاب -رضي الله عنها- صحابية جليلة، اتسمت بعددٍ من المزايا، منها: أنها كانت شديدة الإيمان بالله تعالى، وشديدة الاعتزاز

بالإسلام، طاهرة القلب، راجحة العقل، نقية الفطرة، من السابقات إلى الإسلام، أسلمت قديمًا مع زوجها، قبل إسلام أخيها عمر -رضي الله عنه-، وكانت سببًا في إسلامه. كما أنها بايعت الرسول-صلى الله عليه وسلم- فكانت من المبايعات الأول.

دور فاطمة في قصة إسلام أخيها عمر -رضي الله عنهما-:

عرف عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بعداوته تجاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل إسلامه، فقد خرج عمر -رضي الله عنه- في يوم من الأيام، قبل إسلامه، متوشحًا سيفه، عازمًا على قتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلقِيَه [نعيم بن عبد الله]، ورأى ما هو عليه من حال، فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمدًا. قال: كيف تأمن من بني هاشم ومن بني زهرة، وقد قتلت محمدًا؟ فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوت، وتركت دينك الذي كنت عليه. قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر! إن أختك وختنك قد أسلما، وتركا دينك الذي أنت عليه. "فلما سمع عمر ذلك غَضِبَ أشد الغضب، واتجه مسرعًا إلى

بيتِ أختهِ فاطمة -رضي الله عنها-، فعندما دنا من بيتها سمع همهمةً؛ فقد كان [خباب] يقرأ على فاطمة وزوجها سعيد -رضي الله عنهما- سورة "طه"، فلما سمعوا صوت عمر -رضي الله عنه-، أخفت فاطمة -رضي الله عنها- الصحيفة، وتوارى خباب في البيت. فدخل وسألها عن تلك الهمهمة، فأخبرته أنه حديث دار بينهم. فقال عمر: فلعلكما قد صبوتما، وتابعتما محمدًا على دينه! فقال له صهره سعيد: يا عمر، أرأيت إن كان الحق في غير دينك"، عندها لم يتمالك عمر نفسه، فوثب على سعيد فوطئه، ثم أتت فاطمة مسرعة، محاولة الذود عن زوجها، ولكن عمر-رضي الله عنه- ضربها بيده ضربة أسالت الدم من وجهها... بعدها، قالت فاطمة -رضي الله عنه:- يا عمر إن الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله".

فعندما رأى عمر ما قد فعله بأخته، ندم وأسف على ذلك، وطلب منها أن تعطيه تلك الصحيفة، فقالت له فاطمة -وقد طمعت في أن يسلم:- "إنك رجل نجس ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل"، فقام مفعل، ثم أخذ الكتاب، فقرأ فيه: (**بسم الله الرحمن الرحيم * طه* مَآ أَنَزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى* إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى* تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ**

وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى* الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى *...) فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!...، دلوني على محمد". فلما سمع خباب منه ذلك، خرج من مخبئه مسرعًا إلى عمر وبشره، وتمنى أن تكون فيه دعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث قال: " اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين، عمر بن الخطاب أو عمرو بن هاشم".

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حينها في دار الأرقم، فخرج عمر -رضي الله عنه- متجهًا إلى تلك الدار، وقد كان متوشحًا سيفه، فضرب الباب، فقام أحد صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ونظر من الباب فرأى عمر، وما هو عليه. ففزع الصحابي، ورجع مسرعًا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبره بما رأى، فقال الرسول -صلى الله عليه وسلم- لحمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه:- فأذن له، فإن كان جاء يريد خيرًا، بذلناه له، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه. فَأَذِنَ له، ونهض إليه رسول الله-صلى الله عليه وسلم- حتى لقيه بالحجرة، فأخذ مجمع ردائه، ثم جبذه جبذة شديدة، وقال: ما جاء بك يا بن الخطاب، فوالله ما أرى أن تنتهي، حتى ينزل الله بك قارعة. فقال عمر: "يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء

من عند الله"، فلما سمع الرسول الكريم ذلك كبر تكبيرة عرف أهل البيت من صحابة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أن عمر قد أسلم.

لقد كان ذلك الموقف أحد أروع المواقف الإسلامية في تاريخ الحياة الإسلامية، وفيه يعود الفضل لفاطمة بنت الخطاب -رضي الله عنها- وثباتها على دينها، ودعوتها الصادقة لأخيها، الذي كانت البلاد بأجمعها تخاف بطشه في جاهليته، ولكنها لم تخشَه قط؛ بل أصرت على موقفها، وكانت سببًا في إسلامه -رضي الله عنه-، وبذلك تحققت فيه دعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

رواية فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها للحديث:

"روى الواقدي، عن فاطمة بنت مسلم الأشجعية، عن فاطمة الخزاعية، عن فاطمة بنت الخطاب: أنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول:" لا تزال أمتي بخير ما لم يظهر فيهم حب الدنيا في علماء فساق، وقراء جهال، وجبابرة؛ فإذا ظهرت خشيت أن يعمهم الله بعقاب".

وبمراجعة الحديث الشريف السابق نجد فيه إشارة إلى خطورة العلماء في المجتمع، وما يمكن أن يصنعوه من خير وتقدم إن كانوا صالحين أتقياء، وما يجلبونه من شر وويل على الأمة إن كانوا فاسقين عصاة، تعلقت قلوبهم بحب الدنيا ومتاعها؛ ذلك لأنهم يشكلون نخبة المجتمع وصفوته، وبصلاحهم يصلح المجتمع، وبفسادهم يفسد المجتمع!!!

الخاتمة:

لم تكن تلك السطور السابقة سوى ومضات سريعة، من مواقف في حياة إحدى عظيمات نساء العالم، فاطمة بنت الخطاب -رضي الله عنها- ، تلك الشخصية التي سمت وبرزت في عالم الإسلام والإيمان في أبهى صورة المرأة الداعية، فكانت مثالًا وقدوة يحتذى بها في التضحية للدعوة إلى الإسلام.

إنها شخصية اتصفت بصبرها واحتسابها إلى ربها -عز وجل-؛ فقد تحملت الكثير من أجل إسلامها، ولم تخف يومًا أخاها عمر بن الخطاب، في جاهليته، حين كانت مكة بأسرها تخاف بطشه!!!

وأهم النتائج التي توصلت إليها في شخصية فاطمة بنت الخطاب (رضي الله عنها):

- ألا يخاف المسلم في الله لومة لائم، ويتضح ذلك في موقف فاطمة -رضي الله عنه- عندما أسلمت، على الرغم من معرفتها ببطش أخيها وجبروته. فلم تخش سوى ربها -عز وجل-، وسعت لمرضاته.

- سعي فاطمة -رضي الله عنها- لهداية أخيها -عمر بن الخطاب- للإسلام، حيث كان لها الدور البارز في إسلامه -رضي الله عنه-،فقد ارتبطت قصة إسلامه الشهيرة بفاطمة بنت الخطاب.

❋ ❋ ❋

أم سليم بنت ملحان

مقدمة:

هي أم سليم بنت ملحان، بن خالد بن زيد بن حرام. اختلف في اسمها، فقيل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل: مليكة، ويقال: الغميصاء، أو الرميصاء. وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار.

زواج أم سليم:

لقد أولى الإسلام الزواج اهتمامًا خاصًا؛ لما فيه من أثر عظيم في تكوين اللبنة الأولى للمجتمع، فإذا صلحت تلك اللبنة صلح المجتمع، فمن أجل ذلك حث الإسلام على أن يختار كل طرف الآخر على أساس من الدين، فقال -صلى الله عليه وسلم- مخاطبًا الأزواج: "فاظفر بذات الدين تربت يداك".

وفي المقابل حث أولياء أمور النساء على قبول من تقدم إليهم بالزواج منهن، إذا كان من أهل الاستقامة، فقال -صلى الله عليه وسلم- "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض".

فإذا كان الأمر كذلك، فتعالوا ننظر، كيف كان زواج أم سليم الأنصارية -رضي الله عنها- في الجاهلية والإسلام:

عاشت في بداية حياتها كغيرها من الفتيات في الجاهلية قبل مجيء الإسلام، فتزوجت [مالك بن النضر]، فلما جاء نبي الله بالإسلام، وظهرت شمسه في الأفق، واستجابت وفود من الأنصار، أسلمت -رضي الله عنها- مع السابقين إلى الإسلام، وعرضت الإسلام على زوجها -مالك بن النضر-، فغضب عليها، وكان قد عشش الشيطان في رأسه، فلم يقبل هدى الله، ولم يستطع أن يقاوم الدعوة؛ لأن المدينة صارت دار إسلام، فخرج إلى الشام، فهلك هناك. والذي يظهر لي: أن زوجها لم يخرج إلى الشام تاركًا وراءه زوجته وابنه الوحيد، إلا بعد أن

يئس أن يثني أم سليم عن الإسلام، فصار هذا أول موقف يسجل لأم سليم -رضي الله عنها وأرضاها-؛ لأننا نعلم حجم تأثير الزوج في زوجته وأولاده! فاختيار أم سليم الأنصارية الإسلام على زوجها، في ذلك الوقت المبكر، ينبئ عن عزيمة أكيدة، وإيمان راسخ، في وقت كان الاعتماد -في تدبير البيت، والمعاش، وغير ذلك، من أمور الحياة- على الرجل، ولم تكن المرأة قبيل مجيء الإسلام تساوي شيئًا، فكونها أخذت ذلك القرار -من الانفصال بسبب الإسلام عن زوجها، الذي في نظرها يعتبر كل شيء في ذلك الوقت- فيه دلالة على ما تمتاز به هذه المرأة المسلمة، من الثبات على المبدأ مهما كلفها من متاعب!!!

زواجها في الإسلام:

أما زواجها في الإسلام، فذاك هو العجب بعينه، ولم يتكرر في التاريخ مثله، فعن أنس -رضي الله عنه- قال: "خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم فقالت: أما إني فيك لراغبة، وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فذاك مهري، لا أسأل غيره،

فأسلم وتزوجها أبو طلحة". وفي رواية عند الحاكم أن أبا طلحة خطب أم سليم -يعني قبل أن يسلم- فقالت: "يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض نجرها حبشي بني فلان، إن أنت أسلمت لا أريد من الصداق غيره، قال: حتى أنظر في أمري. فذهب فجاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فقالت: يا أنس زوج أبا طلحة.

فانظر كيف أن أم سليم أرخصت نفسها في سبيل دينها ومبدئها، وكيف أنها استعملت الحكمة للوصول إلى هدفها، فهي من جهة: بينت له ضلال ما هو عليه من عبادة الأشجار، والأوثان، وذلك ما تستقبحه الطبائع السليمة، ومن جهة ثانية مدحته بما فيه من الخصال الطيبة، وأثنت عليه بقولها (مثلك لا يرد) -أي أن فيك من صفات الرجولة والحسب والجاه ما يدعو للزواج منك- لولا هذه الخصلة من الكفر. ثم لم تقف عند هذا الحد، بل رغبته في الزواج منها، بأن أسقطت مهرها مقابل إسلامه! فكانت بذلك أول امرأة جعلت مهرها إسلام زوجها، فصارت سببا في دخول أبي طلحة الإسلام، فحازت بذلك على الفضيلة التي وعد بها الله على لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- بقوله:

"فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم".

أهم ملامح شخصيتها:

1- العقل والحكمة:

فقد كانت من عقلاء النساء، وموقفها مع زوجها -أبي طلحة- يوم وفاة ولدها، يدل علي ذلك، وهو موقف يدل عقل راجح وحكمة بالغة، وصبر جميل.

فعن أنس، أن أبا طلحة، مات له ابن، فقالت أم سليم: لا تخبروا أبا طلحة حتى أكون أنا أخبره، فسجت عليه ثوبًا. فلما جاء أبو طلحة، وضعت بين يديه طعامًا، فأكل، ثم تطيبت له، فأصاب منها. فتلقت بغلام، فقالت له: يا أبا طلحة، إن آل فلان استعاروا من آل فلان عارية، فبعثوا إليهم أن ابعثوا إلينا بعاريتنا، فأبوا أن يردوها، فقال أبو طلحة: ليس لهم ذلك، إن العارية مؤداة إلى أهلها. قالت: فإن ابنك كان عارية من الله، وإن الله قد قبضه، فاسترجع. قال أنس فأخبر النبي -صلى الله

عليه وسلم- فقال: بارك الله لهما في ليلتهما. قال فتلقت بغلام، فأرسلت به معي أم سليم إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فحملت معي تمرًا، فأتيت النبي وعليه عباءة، وهو يهنأ بعيرًا له. فقال رسول الله: هل معك تمر، قلت: نعم. فأخذ التمرات فألقاهن في فيه، فلاكهن، ثم جمع لعابه، ثم فغر فاه، فأوجره إياه، فجعل الصبي يتلمظ، فقال رسول الله: حب الأنصار التمر. فحنكه، وسماه: [عبد الله]، فما كان في الأنصار ناشئ أفضل منه.

أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا عبد الله بن عون، عن أنس بن سيرين، عن أنس بن مالك، قال: كان لأبي طلحة ابن يشتكي، فخرج أبو طلحة، فقبض الصبي. فلما رجع أبو طلحة، قال: ما فعل ابني، قالت أم سليم: هو أسكن مما كان. فقربت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة، أتى النبي فأخبره. فقال: أعرستم الليلة، قال نعم. قال: اللهم بارك لهما. فولدت غلاما، فقال لي أبو طلحة: احفظه، حتى تأتي به رسول الله، فأتى به النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبعثت معه تمرات، فأخذه النبي

-صلى الله عليه وسلم-، وقال: أمعك شيء، قلت: تمرات، فأخذها النبي -صلى الله عليه وسلم-، فمضغها، ثم أخذ من فيه، فجعل في في الصبي، وحنكه به، وسماه عبد الله.

2- الشجاعة والإقدام:

فكانت تغزو مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولها قصص مشهورة، منها: ما أخرجه ابن سعد، بسند صحيح: أن أم سليم اتخذت خنجرًا، يوم حنين، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، هذه أم سليم، معها خنجر. فقال: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه.

وكانت أم سليم بنت ملحان مع زوجها أبى طلحة، فالتفت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهى حازمة وسطها، ومعها جمل أبى طلحة، فقالت: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي يَا رَسُولَ اللهّ اُقْتُلْ هَؤُلَاءِ الّذِينَ يَنْهَزِمُونَ عَنْك كَمَا تَقْتُلُ الّذِينَ يُقَاتِلُونَك، فَإِنّهُمْ لِذَلِكَ أَهْلٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- أَوَ يَكْفِي اللهُ يَا أُمّ سُلَيْمٍ؟

3-حب النبي -صلى الله عليه وسلم- واقتفاء أثره في كل شيء:

فعن أنس بن مالك: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل على أم سليم بيتها، وفي البيت قربة معلقة، فيها ماء فتناولها، فشرب من فيها وهو قائم، فأخذتها أم سليم فقطعت فمها، فأمسكته، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعرف حرص أم سليم على ذلك، ويقدر لها ذلك، ويمكنها من التبرك به -صلى الله عليه وسلم- كلما أمكن. ولذا، فقد ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه لما حلق شعره، يوم النحر، "أشار بيده إلى الجانب الأيمن هكذا، فقسم شعره بين من يليه، ثم أشار إلى الحلاق، وإلى الجانب الأيسر فحلقه، فأعطاه أم سليم".

فهكذا ساوى النبي -صلى الله عليه وسلم- أم سليم بالناس، حين أعطاها وحدها نصف شعر الرأس، وأعطى بقية الناس النصف الآخر، وما ذاك إلا تقدير منه -صلى الله عليه وسلم- لأم سليم، على اعتنائها الشديد بتتبع آثاره. وهو دليل على حبها الشديد للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وقربها منه -صلى الله عليه وسلم-. وعن أم سليم، قالت: كان

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقيل في بيتي، فكنت أبسط له نطعًا، فيقيل عليه فيعرق، فكنت آخذ سكا فأعجنه بعرقه!!

4- **العلم والفقه**:

ورد في صحيح البخاري، عن عكرمة: أن أهل المدينة سألوا ابن عباس -رضي الله عنهما:- عن امرأة طافت ثم حاضت. قال لهم: تنفر، قالوا: لا نأخذ بقولك وندع قول زيد -رضي الله عنه-. قال: إذا قدمتم المدينة فسلوا. فقدموا المدينة، فكان فيمن سألوا أم سليم، فذكرت حديث صفية "أي قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لحفصة: (عقرى حلقى إنك لحابستنا أما كنت طفت يوم النحر) قالت: بلى قال: (فلا بأس انفري).

من مناقبها وفضائلها:

عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: دخلت الجنة، فسمعت خشفة، فقلت من هذا؟ قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان -أم أنس بن مالك-. [والخشفة هي حركة المشي وصوته].

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يدخل على أحد من النساء، إلا على أزواجه، إلا أم سليم فإنه كان يدخل عليها، فقيل له في ذلك فقال: إني أرحمها، قتل أخوها معي.

وقالت -رضي الله عنها- لقد دعا لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى ما أريد زيادة.

ومما يدل على وفاء أم سليم بالعهد، عن أم عطية -رضي الله عنها- قالت: أخذ علينا النبي -صلى الله عليه وسلم- عند البيعة، أن لا ننوح، فما وفت منا غير خمس نسوة: أم سليم، وأم العلاء، وابنة أبي سبرة -امرأة معاذ- وامرأتان. أو [ابنة أبي سبرة، وامرأة معاذ، وامرأة أخرى].

من مواقفها مع الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

جاءت أم سليم-وهي جدة إسحاق-، إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت له، وعائشة عنده: يا رسول الله، المرأة التي ترى ما يرى الرجل في المنام، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه؟ فقالت عائشة: يا أم سليم، فضحت النساء تربت يمينك! فقال لعائشة: بل أنت فتربت يمينك، نعم، فلتغتسل يا أم سليم، إذا رأت ذاك.

وفي أحد الأيام، قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ضعيفًا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير، ثم أخرجت خمارًا لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي، ولاثتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. قال فذهبت به، فوجدت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المسجد، ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرسلك أبو طلحة). فقلت: نعم، قال: (بطعام). قلت: نعم، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لمن معه: (قوموا). فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة، فأخبرته. فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم؟ فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة، حتى لقي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأقبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأبو طلحة معه، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (هلمي يا أم سليم ما عندك). فأتت بذلك

الخبز، فأمر به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ففت، وعصرت أم سليم عكة، فأدمته. ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيه ما شاء أن يقول، ثم قال: (ائذن لعشرة). فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا. ثم قال (ائذن لعشرة). فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا. ثم قال (ائذن لعشرة). فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا.

وقالت أم سليم -رضي الله عنها:- أنها سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ما من امرأين مسلمين، يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث، إلا أدخلهم الله الجنة بفضل الله ورحمته إياهم.

أم سليم وبشارتها بالجنة:

كان عاقبة ذلك النضال وتلك التضحيات من أم سليم الأنصارية محمودة، وقد تقبل الله منها تلك المواقف قبولًا حسنًا، فسعدت به دنيا وأخرى، فهي ممن يقال لها يوم القيامة -بإذن الله تعالى- ((**كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية**)).

وغاية ما يتمنى المرء في هذه الدنيا، أن يبشر بالجنة ونعيمها، وهو على قيد الحياة، من قبل مَن لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى... فتلك سعادة لا تدانيها أية سعادة، وقد أعطى الله أم سليم -رضي الله عنها- هذا الفضل العظيم، بمنه وكرمه على لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

كلثوم بنت عقبة

هي أم كلثوم بنت عقبة، بن أبي معيط -أبان- بن ذكوان بن أمية بن عبد سمش بن عبد مناف بن قصي، الأموي

إسلامها وهجرتها:

أسلمت في مكة، وبايعت. ولم يتهيأ لها هجرة إلى سنة سبع للهجرة. وكان خروجها زمن صلح الحديبية، وكان من الأمور الصعبة على أم كلثوم -كفتاة وحيدة- الخروج وحدها لتقطع الطريق إلى المدينة، دون حماية. ورغم المخاطر، خرجت أم كلثوم من مكة وحدها. وفي الطريق قام بحراستها أحد المؤمنين، من قبيلة خزاعة، [وصحيح أن الخروج مع شخص غريب حرام، ولكن في حالة أم كلثوم كان يجب عليها أن تهاجر بأي طريقة؛ لكي لا تفتن في دينها، وفي ذلك الوقت لم تنزل بعد آيات التحريم والحجاب]. وعندما بلغت المدينة المنورة، ظنت أنها بوصولها

هدفها قد بلغت بر الأمان، ولم تكن تعلم أن أخويها: الوليد، وعمار، قد انطلقا من مكة خلفها، فلم يمض يوم على استقرارها في المدينة، إلا ووصل الشقيقان، وتقدما إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، ليقولا له: "أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه"، فوقفت أم كلثوم بجرأة لتقول: "يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء إلى الضعف ما قد علمت، أفتردني إلى الكفار يفتنونني في ديني ولا صبر لي". فأنزل الله تعالى فيها وفي النساء من مثل حالتها، سورة الممتحنة، ونزل فيها قوله تعالى: **(إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن)** [الممتحنة:10،11]

فكان يقول لهن محلفًا: (الله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام! ما خرجتن لزوج ولا مال؟). فإذا قلن ذلك، لم يرجعهن إلى الكفار. وعندما قالت أم كلثوم هذا، التفت الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى الوليد وعمارة، قائلا: "قد أبطل الله العهد في النساء بما قد علمتاه"، فانصرفا.

وذكر ابن إسحاق: أن أخويها رحلا بعد رفض النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يردها إليهما.

حياتها في المدينة وزواجها:

تزوجت أم كلثوم بعد قدومها المدينة، من أربعة صحابة، وهم من أعظم الصحابة. فتزوجت حِب رسول الله -صلى الله عليه وسلم [زيد بن حارثة]، الذي قتل يوم مؤتة. وبعد استشهاده تزوجت -رضي الله عنها- من [الزبير بن العوام]، وولدت زينب، ثم طلقها. فتزوجت مرةً أخرى من أغنى الصحابة [عبد الرحمن بن عوف] فولدت له: إبراهيم، وحميدًا، وإسماعيل. وعندما توفي عنها، تزوجها [عمرو بن العاص]، وهو أحد المبشرين بالجنة، وقد توفيت بعد شهر من زواجه. وقد جاء أجلها -رضي الله عنها- في خلافة علي -كرم الله وجه، ورضي عنه-.

دورها في رواية الحديث النبوي:

روت هذه الصحابية الجليلة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- عشرة أحاديث في مسند بقي بن مخلد، ولها في "الصحيحين" أيضًا حديث واحد. وهو حديث حالات الكذب، وسنده ومتنه التالي:

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح، عن بن شهاب: أن حميد بن عبد الرحمن أخبره: أن أمه أم كلثوم بنت عقبة أخبرته: أنها سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرًا أو يقول خيرًا. (رواه البخاري)

وعنها -رضي الله عنها:- "ولم أسمعه -أي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يرخص في شيء مما يقول الناس كذب، إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها" (رواه أحمد، ومسلم). وحدثنا عمرو الناقد، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبي، عن صالح، حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، بهذا الإسناد مثله، غير أن في حديث صالح: [وقالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول (الناس) إلا في ثلاث]، بمثل ما جعله يونس، من قول ابن شهاب: [وحدثناه عمرو الناقد، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا معمر، عن الزهري، بهذا الإسناد إلى قوله: [ونمى خيرا]، ولم يذكر ما بعده.

حدثنا محمد بن يحيى -أبو غسان- قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، عن مجمع بن يعقوب الأنصاري، عن الحسن بن السالب بن أبي لبابة، عن عبد الله بن أبي أحمر، قال: قالت: أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ :أُنْزِلَ فِيَّ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ، كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ فِي الْهُدْنَةِ حِينَ صَالَحَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا عَلَى أَنَّهُ مَنْ جَاءَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهِ رَدَّهُ إِلَيْهِ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرُدُّوهُ إِلَيْهِ. قالت: فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ قَدِمَ عَلَيَّ أَخِي الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ. قالت: فَفَسَخَ اللهُّ الْعَقْدَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ فِي شَأْنِي، فَأَنْزَلَ اللهُّ: **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ، إِلَى قَوْلِهِ: وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** سورة الممتحنة آية 10، قالت: ثُمَّ أَنْكَحَنِي رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَكَحَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، زَوَّجْتَ بِنْتَ عَمِّكَ مَوْلاكَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُّ: **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** سورة الأحزاب آية 36،

قالت: فَسَلَّمْتُ لِقَضَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُتِلَ عَنِّي فَأَرْسَلَ إِلَيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ أُبَيَّ بْنَ خَالِدٍ فَأَحْبَسَنِي عَلَى نَفْسِهِ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: **وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلا أَنْ تَقُولُوا قَوْلا مَعْرُوفًا وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ** سورة البقرة آية 235، قالت: ثُمَّ حَلَلْتُ فَتَزَوَّجْتُ الزُّبَيْرَ، وَكَانَ ضَرَّابًا لِلنِّسَاءِ، فَوَقَعَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَعْضُ مَا يَقَعُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، فَضَرَبَنِي وَخَرَجَ عَنِّي، وَأَنَا حَامِلٌ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ فَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَفَارَقَنِي، فَضَرَبَنِي الْمُخَاضُ فَوَلَدْتُ زَيْنَبَ بِنْتَ الزُّبَيْرِ، فَرَجَعَ وَقَدْ حَلَلْتُ فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، رضي الله عنه، فَوَلَدْتُ عِنْدَهُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدًا وَحُمَيْدًا بَنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ".

وعن عمرو بن ميمون بن مهران، عن أبيه: أن أم كلثوم بنت عقبة، كانت تحت الزبير بن العوام، وكانت له كارهة، وكان شديدًا على النساء، فكانت تسأله الطلاق فيأبى، فضربها المخاض وهو لا يعلم،

فألحت عليه يومًا، وهو يتوضأ للصلاة فطلقها تطليقة، ثم خرج إلى الصلاة فوضعت، فأتبعه إنسان من أهله، وقال: إنها وضعت. قال: خدعتني خدعها الله، فأتى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فذكر ذلك له، فقال: سبق فيها كتاب الله، أخطبها قال: لا، لا ترجع إلي ذكر اللعان.

وروى عنها ابناها: حميد، وإبراهيم، وبسرة بنت صفوان. وروى لها الجماعة، سوى ابن ماجة. وساق أخبارها ابن سعيد، وغيره.. -رحم الله هذه الصحابية الجليلة-.

الخاتمة:

حقًا، إن هذه الصحابية من أعظم نساء الأمة الإسلامية، التي يجب على المسلمات اتخاذها قدوة لهن، في التمسك بدينهم؛ لأنها تركت للأمة الإسلامية: أروع مثال، للمرأة المدافعة والمحبة لدينها، والتي لا تخاف في الله لومة لائم في قول الحق.

ولعل من أهم أسباب شهرتها بين النساء، التي كتب عنها المؤرخون:

- أولًا: وقوفها في وجه الكفار، للدفاع عن دينها.
- ثانيًا: دورها الفعال في المدينة، وفي رواية الحديث.
- وأخيرًا: زواجها من أربع يعدون من أعظم صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

رحم الله هذه السيدة الجليلة،
وجعلها قدوةً للمسلمين عامة، وللمسلمات خاصة.

نسيبة المازنية

نسب أم عمارة وفضلها:

هي نسيبة بنت كعب، بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار، وهي أنصارية من بني مازن، وكنيتها أم عمارة. وهي أم: لحبيب، وعبد الله، ابني زيد بن عاصم. ولما ظهر الإسلام أسلمت وبايعت، وشهدت: أحدًا، والحديبية، وخيبر، وحنينًا، وعمرة القضاة، ويوم اليمامة، وبيعة الرضوان.

زواجها:

كانت تحت وهب الأسلمي، فولدت له: حبيب، ومات وهب. فتزوجها [زيد بن عاصم المازني]، فولدت له: عبد الله، وهو الذي قتل مسيلمة الكذاب. وفي رواية: تزوجها [غزية بن عمرو المازني] بعد ممات زيد.

روايتها للأحاديث، ورواية الصحابة عنها ولها:

روت أم عمارة، عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- عدة أحاديث، منها: قوله: "الصائم إذا أكل عنده صلت عليه الملائكة"، ورواه لها أبو نعيم في كتاب الحلية.

والحديث أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- نحر بدنة قيامًا، وقال: رحم الله المحلقين، فإن ابن منده وأبو نعيم لم ينسباها، بل قالا: أم عمارة بنت كعب الأنصارية.

وروى عنها: ابن ابنها -عباد بن تميم بن زيد-، والحارث بن عبد الله بن كعب، وعكرمة -مولى ابن عباس- أنها أتت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقالت: "ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرون" فنزل (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) الآية. وروى لها الترمذي، والنسائي، وابن ماجة.

مواقفها العظيمة في المعارك:

في معركة أُحد:

قال الواقدي: شهدت أم عمارة أحدًا، مع زوجها [غزية بن عمرو]، ومع ولديها: [حبيب]، و[عبد الله]. خرجت تسقي ومعها الشن -أي

القربة- الخلق. وقاتلت وأبلت بلاءً حسنًا، وجُرحت اثني عشر جرحًا. وكان [ضمرة بن سعيد المازني] يُحدث عن جدته، وكانت قد شهدت أُحدًا، وقالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "لُمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان". وكانت تراها يومئذ تُقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزةٌ ثوبها على وسطها، حتى جُرحت ثلاثة عشر جُرحًا، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنِّي لأَنْظُرُ إِلَى ابن قَمِئَةَ وَهُوَ يَضْرِبُهَا عَلَى عَاتِقِهَا، وَكَانَ أَعْظَمُ جِرَاحَهَا، وَلَقَدْ دَاوَتْهُ سَنَةً، ثُمَّ نَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ، فَشَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابِهَا فَمَا اسْتَطَاعَتْ مِنْ نَزْفِ الدَّمِ، وَلَقَدْ مَكَثْنَا لَيْلَتَنَا نُكَمِّدُ الْجِرَاحَ حَتَّى أَصْبَحْنَا، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحَمْرَاءِ مَا وَصَلَ إِلَى بَيْتِهِ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْهَا عَبْدَ اللهَّ بْنِ كَعْبٍ الْمَازِنِيِّ يَسْأَلُ عَنْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ بِسَلامَتِهَا، فَسُرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ.-رضي الله عنها، ورحمها-.

وعن موسى بن ضمرة بن سعيد، عن أبيه قال: أتى عمر بن الخطاب بمروط (جمع مرط وهو كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ خَزٍّ يُؤْتَزَرُ بِهِ وَتَتَلَفَّعُ الْمَرْأَةُ بِهِ) فكان فيها مرط جيد واسع، فقال بعضهم: إن هذا المرط لثمن كذا وكذا فلو أرسلت به إلى زوجة عبدالله بن عمر صفية

بنت أبي عبيد، فقال عمر أبعث به إلى من هو أحق به منها أم عمارة نسيبة بنت كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم أحد: «ما التفت يمينًا ولا شمالًا إلا وأنا أراها تقاتل دوني». فبعث به إليها.

بيعة العقبة:

عن محمد بن إسحاق، قال: وحضرت البيعة امرأتان قد بايعتا: إحداهما نسيبة بنت كعب، وكانت تشهد الحرب مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، شهدت معه أُحدًا، وخرجت مع المسلمين بعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، في خلافة أبي بكر في الردة، فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة، ورجعت وبها عشر جراحات من طعنة وجرحة.

حرب اليمامة:

شهدت أم عمارة قتال مسيلمة باليمامة، وذلك لما بعث خالد بن الوليد إلى اليمامة، جاءت إلى أبي بكر الصديق فاستأذنته للخروج، فقال:

قد عرفنا بلاءك في الحرب، فاخرجي على اسم الله، وأوصى خالد بن الوليد بها، وكان مستوصيًا بها، وقد جاهدت باليمامة أجل جهاد، وجرحت أحد عشر جرحًا، وقطعت يدها، وقُتل ولدها.

ومن هنا نلاحظ: ثقة أم عمارة بنفسها، وحبها للجهاد، إلى جانب الأثر الذي تركته أم عمارة في نفوس الصحابة -رضوان الله عليهم-

أم عمارة: من المبشرين بالجنة:

لما أقبل ابن قميئة- لعنه الله- يريد قتل النبي -صلى الله عليه وسلم، كانت أم عمارة ممن اعترض له، فضربها على عاتقها ضربة، صارت لها فيما بعد ذلك غورٌ أجوف، وضربته هي ضربات، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "لمُقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مُقام فلان وفلان". وقال: "ما التفت يمينًا ولا شمالًا إلا وأنا أراها تقاتل دوني". وقال لابنها عبد الله بن زيد:" بارك الله عليكم من أهل بيت؛ مقام أمك خيرٌ من مقام فلان وفلان، ومقام رَيبك -أي زوج أُمه- خيرٌ من مقام

فلان وفلان، ومقامك خيرٌ من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل بيت"؛ قالت: ادع الله أن نرافقك في الجنة، فقال: "اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة" فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا أو جرحت". فرحم الله أم عمارة وابنيها وزوجها وجمعنا وإياهم مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في الجنة.

وفاتها رضي الله عنها:

توفيت أم عمارة بعد معركة اليمامة بعام متأثرة بجراحها في خلافة عمر بن الخطاب، ودفنت في البقيع. عام 13 هـ، أي ما يقارب 634 م

الخاتمة

تعد أم عمارة -الصحابية الجليلة الفاضلة المجاهدة الشجاعة- شخصية نادرة بين النساء قديمًا وحديثًا، فهي أهل للاقتداء بها؛ لما فيها من مميزات امتازت بها عن نساء عصرها، وميزها رسول الله -صلى الله

عليه وسلم- من شجاعة وصبر واحتساب الأجر من الله تعالى، إلى جانب: زهدها، وعبادتها، وحبها الشديد لله ورسوله، فدعا لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالفوز بالجنة، ولا يكون ذلك إلا عندما يفوز المرء برضوان الله تعالى، ومن ثَم رضوان -أشرف الأنبياء والمرسلين- محمد -صلى الله عليه وسلم-.

سفانة بنت حاتم الطائي

-الدالة على الحق-

اسمها ونسبها:

هي سفانة بنت حاتم، بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء الطائي، وأبوها حاتم الجواد، الموصوف بالجود، الذي يضرب به المثل، وكنيته أبو سفانة، وأبو عدي، وكني بابنته سفانة -رضي الله عنها-؛ لأنها أكبر ولده، وبابنه عدي بن حاتم.

كان أبوها -حاتم الطائي- من أبرز شعراء العرب، وأكثرهم جودًا، وجوده يشبه شعره، ويضرب به المثل: في الكرم، وحسن الخلق؛ فيقال: "أكرم من حاتم"؛ لأنه كان زاهدًا في الخير، يزهد بها في يديه، وإن أتته الدنيا بحذافيرها، فقد كان ينفق كل ما لديه للضيوف والمحتاجين، حتى

لو كلفه ذلك جوع أهله وولده، حتى أنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال لها فيه، عندما وصفته: "يا جارية، هذه صفة المؤمن حقًا، لو كان أبوك إسلاميًا لترحّمنا عليه، خلّوا عنها، فإن أباها كان يُحِبّ مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق)، وتوفي حاتم سنة 46 ق.هـ، ولم يدرك الإسلام.

صفاتها:

كانت سفانة -رضي الله عنها- من فواضل النساء، جزلة فصيحة متكلمة، تملؤها الثقة والعزة بمكارم الأخلاق، وكانت تعتز بنسبها وبأبيها وبكرمه، وتفاخر بذلك بين الناس، محبة لوطنها، فقد كانت تترقب من يفد إلى المدينة المنورة، كي ترجع إلى موطنها، وتظهر قوة شخيصيتها، وسداد رأيها عندما أشارت على أخيها بزيارة الرسول والمثول بين يديه، وجمعت إلى ما سبق من فضل، جمال الجسد، فقد كانت بيضاء حوراء، متعدلة القوام.

إسلامها:

أصابت خيل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ابنة حاتم الطائي في سبايا طيّء، فقدمتْ بها على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجُعِلَتْ في حظيرة بباب المسجد فمرّ بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله، هَلَكَ الوالِد وغابَ الوافد)، فقال: (ومَنْ وَافِدُك؟)، قالت: (عدي بن حاتم)، قال: (الفارُّ من الله ورسوله؟). ومضى حتى مرّ ثلاثًا، فقامت، وقالت: (يا رسول الله هَلَكَ الوالِد، وغابَ الوافد، فامْنُن عليّ -مَنّ الله عليك-). قال: (قَدْ فعلت، فلا تعجلي حتى تجدي ثقةً يبلّغك بلادك، ثم آذِنِيني).

وفي رواية أخرى، أن سُفانة قد قالت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- (يا مُحَمّد! إن رأيتَ أن تخلّي عنّي.. فلا تشمِّت بي أحياء العرب؟! فإنّي ابنة سيّد قومي، وإنّ أبي كان يفُكّ العاني، ويحمي الذّمار، ويُقْري الضيف، ويُشبع الجائع، ويُفرّج عن المكروب، ويفشي السلام، ويُطعم الطعام، ولم يردّ طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائي). قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (يا جارية، هذه صفة المؤمن حقًا، لو كان أبوك إسلاميًا لترحّمنا عليه، خلّوا عنها؛ فإن أباها كان يُحِبّ مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق).

وقدم ركب من بليّ، فأتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت سفانة: قدم رهط من قومي، فكساها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحملها وأعطاها نفقة، فخرجت حتى قدمت الشام، على أخيها عدي، فقال لها: "ما ترين في أمر هذا الرجل". فقالت: أرى والله أن تلحق به سريعًا، فإن يكن الرجل نبيًا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكًا فلن تنزل في عز اليمن، وأنت أنت! فكانت سببًا في إسلام أخيها، وإسلام قومها. وحسن إسلامها، فرضي الله عنها.

جودها وكرمها:

كانت سفانة من أجود نساء العرب كأبيها، فقد كان أبوها يعطيها من إبله، فتهبها، وتعطيها الناس، فقال لها أبوها: "يا بنية إن الكريمين إذا اجتمعا في المال أتلفا، فإما أن أعطي وتمسكي، وإما أن أمسك وتعطي، فإنه لا يبقى على هذا شيء"، فقالت: "والله لا أمسك أبدًا". وقال أبوها: "وأنا والله لا أمسك أبدًا". فقاسمها المال، وتباينا، ولم يتجاورا.

❋ ❋ ❋

أم ورقة بنت عبد الله الأنصارية

رضي الله عنها

اسمها وكنيتها:

هي أم ورقة بنت عبد الله، بن الحارث بن عويمر بن نوفل، الأنصارية. وقيل: أم ورقة بنت نوفل، وهي مشهورة بكنيتها. وكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يزورها، ويسميها [الشهيدة].

فضلها:

أم ورقة الأنصارية، واحدة من الأنصاريات، اللائي سطرن أروع الصفحات في تاريخ الإسلام، وقد أسلمت مع السابقات. وكانت من فضليات نساء عصرها، ومن كرائم نساء المسلمين، نشأت على حب كتاب الله تعالى، وراحت تقرأ آياته، أناء الليل وأطراف النهار، حتى غدت إحدى العابدات الفاضلات. فجمعت القرآن، وكانت تتدبر

معانيه، وتتقن فهمه، وحفظه، كما كانت قارئة مجيدة للقرآن، واشتهرت بكثرة الصلاة. وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقدر أم ورقة، ويعرف مكانتها، ويكبر حفظها، وإتقانها، ويأمر بأداء الصلاة في بيتها.

مشاركتها في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وأما عن حبها -رضي الله عنها- للجهاد، والشهادة في سبيل الله... فها هي تحدثنا عن ذلك، فتقول: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما غزا بدرًا، قلت له: ائذن لي في الغزو معك، وأمرض مرضاكم، لعل الله أن يرزقني الشهادة. قال: قري في بيتك فإن الله تعالى يرزقك الشهادة. وعادت الصحابية العابدة -أم ورقة- إلى بيتها سامعة، مطيعة أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- لأن طاعته واجبة.

وغدت أم ورقة -رضي الله عنها- تعرف بهذا الاسم المعطار: "الشهيدة"؛ بسبب قوله -صلى الله عليه وسلم- "قري في بيتك فإن الله تعالى يرزقك الشهادة"، ولِمَا ذكره ابن الأثير في أسد الغابة: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا أراد زيارتها، اصطحب معه ثلة من أصحاب له قائلًا: "انطلقوا بنا نزور الشهيدة".

وظلت الصحابية الجليلة -أم ورقة-رضي الله عنها- تحافظ على شعائر الله تعالى، طوال حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وتنتظر ما بشرها به -صلى الله عليه وسلم-.

وانتقل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى، وهو راض عن أم ورقة، ثم جاء عهد أبي بكر -رضي الله عنه-، فتابعت حياة العبادة والتقوى، على الصورة التي كانت عليها من قبل.

تحقق بشارة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لها بالشهادة:

لقد بشرها النبي -صلى الله عليه وسلم- بالشهادة، عندما طلبت منه -صلى الله عليه وسلم- أن تشترك في الجهاد، وتداوي جراح الجرحى وتمرضهم. فقال لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مبشرًا: إن الله يهديك الشهادة وقري في بيتك فإنك شهيدة.

وفاتها و(استشهادها) رضي الله عنها:

في عهد عمر، كان يقوم -رضي الله عنه- بتفقدها، ويزورها اقتداء بنبيه -صلى الله عليه وسلم-، وقد كانت -أم ورقة- تملك غلامًا

وجاريةً، كانت قد وعدتهما بالعتق بعد موتهما، فسولت لهما نفساهما أن يقتلا أم ورقة، وذات ليلة قاما إليها فغمياها وقتلاها، وهربا فلما أصبح عمر -رضي الله عنه- قال: والله ما سمعت قراءة خالتي -أم ورقة- البارحة، فدخل الدار فلم ير شيئا، فدخل البيت فإذا هي ملفوفة في قطيفة في جانب البيت، فقال: صدق الله ورسوله، ثم صعد المنبر فذكر الخبر، وقال: علي بهما، فأتى بهما فكانا أول مصلوبين في المدينة.

فرحم الله تعالى الصحابية الأنصارية، والشهيدة العابدة -أم ورقة- ورضي الله عنها وأرضاها.

أم هانئ بنت أبي طالب

-رضي الله عنه-

هي فاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم.

كنيتها -أم هانئ-، فهي بنت أبي طالب، عم الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أخت -أمير المؤمنين- علي بن أبي طالب، وأخت عقيل وجعفر وطالب وشقيقتهم. وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، واختلف في اسمها، فقيل: هند وقيل: فاختة وهو الأكثر. وكان إسلام أم هانئ -رضي الله عنها- يوم الفتح.

من مواقفها مع الرسول صلى الله عليه وسلم:

- كان لأم هانئ مواقف مع الرسول -صلي الله عليه وسلم-، منها ما رواه أبو هريرة: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خطب أم هانئ بنت أبي طالب، فقالت: يا رسول الله، إني قد كبرت، ولي عيال، فقال النبي

-صلى الله عليه وسلم- "خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده".

- تقول أم هانئ: ذهبت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عام الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره، فسلمت عليه، فقال: (من هذه). فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: (مرحبًا بأم هانئ). فلما فرغ من غسله، قام فصلى ثماني ركعات، ملتحفا في ثوب واحد، فلما انصرف: قلت: يا رسول الله، زعم ابن أمي أنه قاتل رجلًا، قد أجرته، فلان بن هبيرة. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ). قالت أم هانئ: وذاك ضحى.

- وعن أم هانئ، قالت: كنت قاعدة عند النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأتي بشراب فشرب منه، ثم ناولني فشربت منه، فقلت: إني أذنبت فاستغفر لي، فقال وما ذاك؟ قالت: كنت صائمة فأفطرت، فقال أمن قضاء كنت تقضينه؟ قالت: لا، قال: فلا يضرك.

- وفي أحد الأيام: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأم هانئ: هل عندك طعام آكله، وكان جائعًا، فقالت: إن عندي لكسر يابسة، وإني لأستحي أن أقربها إليك. فقال: هلميها، فكسرتها، ونثرت

عليها الملح، فقال: هل من أدام؟ فقالت: يا رسول الله ما عندي إلا شيء من خل، قال: هلميه، فلما جاءته به صبه على طعامه، فأكل منه، ثم حمد الله تعالى، ثم قال: "نِعم الإدام الخل، يا أم هانئ، لا يفقر بيت فيه خل".

من الأحاديث التي روتها عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: ما أخبرني أحد أنه رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- يصلي الضحى، إلا أم هانئ؛ فإنها حدثت: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل، فسبح ثمان ركعات، ما رأيته صلى صلاة قط أخف منها، غير أنه كان يتم الركوع والسجود.

- وعن أم هانئ -رضي الله عنها- أنها ذهبت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة تستره بثوب، فسلمت، فقال: من هذا؟ قلت: أم هانئ، فلما فرغ من غسله، قام فصلى ثماني ركعات في ثوب ملتحفا به.

- وعن أم هانئ: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اغتسل هو وميمونة من إناء واحد في قصعة فيها أثر العجين.

- وعن أم هانئ: قال لها النبي -صلى الله عليه وسلم- اتخذي غنمًا يا أم هانئ، فإنها تروح بخير، وتغدو بخير.

- وعن أم هانئ بنت أبي طالب، قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن الله تعالى فضل قريشًا بسبع خصال لم يعطها أحدا قبلهم، ولا يعطيها أحدا بعدهم: فيهم النبوة، وفيهم الحجابة، وفيهم السقاية، ونصرهم على الفيل، وهم لا يعبدون إلا الله، وعبدوا الله عشر سنين لم يعبده غيرهم، ونزلت فيهم سورة لم يشرك فيها غيرهم "لإيلاف قريش".

الوفاة:

لم تذكر المصادر تاريخ وفاة أم هانئ، ولكن المتفق عليه: أنها عاشت -رضي الله عنها- إلى بعد سنة خمسين.

الربيع بنت معوذ النجارية

-رضي الله عنها-

نسبها:

هي الربيع بنت معوذ بن عفراء بن حرام بن جندب، الأنصارية، النجارية، من بني عدي بن النجار... أبوها معوّذ بن عفراء، من كبار أهل بدر. تزوجها إياس بن البكير الليثي، فولدت له محمدا..

أسلمت -رضي الله عنها-، وبايعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وحدثت عنه، وكانت تخرج معه في الغزوات. وعن خالد بن ذكوان، عن الربيع، قالت: كنا نغزو مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنخدم القوم ونسقيهم، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة والسلام.

بعض المواقف من حياتها مع الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

روى البخاري والترمذي وغيرهما، من طريق خالد بن ذكوان، عن الربيع بنت معوذ، قالت: جاء النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-،

فدخل علي غداة بني، فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف، ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال لها: دعي هذه، وقولي بالذي كنت تقولين.

وعن عبيد الله بن عمرو، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء، قالت: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأتينا في منزلنا، فآخذ ميضأة لنا: تكون مدا وثلث مد أو ربع مد، فأسكب عليه فيتوضأ ثلاثا ثلاثا..

وعن ابن عقيل، عن الربيع بنت معوذ، قالت: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- بقناع فيه رطب، وأجر زغب، فوضع في يدي شيئًا، فقال: تحلي بهذا واكتسي بهذا..

بعض المواقف من حياتها مع الصحابة -رضوان الله عليهم-:

يحكي عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الربيع بنت معوذ، قالت: كان بيني وبين ابن عمي كلام -وهو زوجها-، فقلت له: لك كل شيء لي وفارقني، قال: قد فعلت. قالت: فأخذ -والله- كل شيء لي حتى

فراشي، فجئت عثمان -رضي الله عنه- فذكرت ذلك له، وقد حصر. فقال: الشرط أملك، خذ كل شيء لها حتى عقاص رأسها إن شئت.

مع التابعين -رحمهم الله-:

يروي أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء، قالت: دخلت في نسوة من الأنصار، على أسماء بنت مخربة -أم أبي جهل-، في زمن عمر بن الخطاب، وكان ابنها -عبد الله بن أبي ربيعة- يبعث إليها بعطر من اليمن، وكانت تبيعه إلى الأعطية، فكنا نشتري منها. فلما جعلت لي في قواريري، ووزنت لي كما وزنت لصواحبي، قالت: اكتبن لي عليكن حقي. فقلت: نعم، أكتب لها على الربيع بنت معوذ، فقالت أسماء خلفي وإنك لابنة قاتل سيده. قالت: قلت: لا، ولكن ابنة قاتل عبده. قالت: والله لا أبيعك شيئًا أبدًا. فقلت: وأنا والله لا أشتري منك شيئًا أبدًا، فوالله ما بطيب، ولا عرف ووالله يا بني ما شممت عطرًا قط كان أطيب منه؛ ولكني غضبت.

وأخرج ابن منده، من طريق أسامة بن زيد الليثي، عن أبي عبيدة بن محمد، قال: قلت للربيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فقالت: يا بني لو رأيته لرأيت الشمس طالعة.

بعض الأحاديث التي روتها عن النبي -صلى الله عليه وسلم-:

عن خالد بن ذكوان، عن الربيع بنت معوذ، قالت: أرسل النبي -صلى الله عليه وسلم- غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: "من أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائمًا فليصم". قالت: فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار.

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مسح برأسه مرتين، بدأ بمؤخر رأسه، ثم بمقدمه، وبأذنيه كلتيهما ظهورهما وبطونهما..

وفاتها:

توفيت في خلافة عبد الملك بن مروان، سنة بضع وسبعين -رضي الله عنها-.

أم حرام بنت ملحان

رضي الله عنها

مقدمة:

هي أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن النجار، الأنصارية، الخزرجية.

إسلامها:

في مكة، وبالتحديد في موسم الحج، عرض الرسول نفسه على القبائل القادمة من أنحاء الجزيرة العربية. وكان من بين الذين لقيهم من أهل يثرب، ومن بني أخواله -بني النجار- حرام بن ملحان، أخو أم حرام، وعبادة بن الصامت -زوجها-. فشرح الله صدورهم له، وتشبعوا بروح القرآن، وآمنوا بالله ربًا، وبمحمد نبيًا، وكلما قرأ عليهم رسول الله آية أو سورة، صادفت في نفوسهم هوى، وفي أفئدتهم تجاوبًا،

وصاروا يرددونه في مجالسهم، وينشرونه في أهل المدينة بعد عودتهم إلى ديارهم. وصادفت آيات القرآن وسوره من أم حرام وأختها -أم سليم- تجاوبًا، فكانتا من أوائل المسلمات في المدينة.

وفي العام المقبل وفي إلى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا، فلقوا رسول الله في العقبة، وهي العقبة الأولى.

كان من بين النقباء -الإثنى عشر- عبادة بن الصامت، الذي عاد مع بقية صحبه ينشرون الدين في كل أنحاء المدينة، حتى لم يبق بيت فيها إلا وفيه مَن يقرأ القرآن. واعتنقت الأختان -أم حرام-، و-أم سليم- الدين الإسلامي، لأنه صادف ما فطرتا عليه من فضائل، فاستجابتا بسرعة، وشرعتا في تطبيق مبادئه وتعاليمه...

أهم ملامح شخصيتها:

1 - **الشجاعة وحب الجهاد**: وذلك ل (طلبها من النبى أن يدعو لها أن تكون من الغازين في البحر، على الرغم من عدم خبرة العرب في حروب

البحار)، فقد ساهمت -رضي الله عنها- في معارك: أحد، وحنين، والخندق، والفتح، والطائف، مع زوجها عبادة -رضي الله عنه-.

2-**العلم والفقه ورجاحة العقل**: (قال عنها صاحب السير: كانت من علية النساء، حدث عنها أنس بن مالك وغيره).

من مواقفها مع الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدخل على [أم حرام بنت ملحان] فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأطعمته، وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: (ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة). شك إسحاق. قالت: "فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما

يضحكك يا رسول الله؟ قال: (ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله)". كما قال في الأول. قالت:" فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: (أنت من الأولين). فركبت البحر في زمان [معاوية بن أبي سفيان]، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت.

عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُوْلُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا هُوَ إِلاَّ أَنَا وَأُمِّي وَخَالَتِي أُمُّ حَرَامٍ، فَقَالَ: (قُوْمُوا فَلأُصَلِّ بِكُمْ). فَصَلَّى بِنَا فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلاَةِ.

من الأحاديث التي روتها عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

(أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا، وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم. (أخرجه البخاري في صحيحه -كتاب الجهاد- باب ما قيل في قتال الروم).

الوفاة:

خرجت -رضي الله عنها- مع زوجها -عبادة- غازية في البحر، فلما وصلوا إلى جزيرة [قبرص] خرجت من البحر، فقربت إليها دابة

لتركبها، فصرعتها، فماتت -رضي الله عنها-، ودفنت في موضعها. وذلك في إمارة معاوية، وخلافة عثمان. ويقال: إن معاوية غزا تلك الغزاة بنفسه، ومعه أيضًا امرأته -فاختة بنت قرظة- من بني نوفل بن عبد مناف..

❋ ❋ ❋

النوار بنت مالك

رضي الله عنها

مقدمة:

النوار بنت مالك الأنصارية، صحابية جليلة، كانت متزوجة من [ثابت بن الضحاك]، فولدت له: زيد بن ثابت، وأخاه يزيد. قتل زوجها يوم بعاث، وكان عمر زيد ست سنوات، ثم تزوجها [عمارة بن حزم] وهو من أهل بدر، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله.

لقد كانت هذه المؤمنة أمًّا كريمة شهمة حكيمة، آمنت بالنبي قبل مقدمه المدينة، فراحت تغذي زيدًا على مأدبة القرآن وحفظه، وحب المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، وقد عرف قلب زيد الصغير طعم هذا الحب وبركته، من أول يوم التقى فيه رسول الله، وقد كان لقاء كرم وحسن ضيافة؛ إذ كانت أول هدية أهديت للحبيب المصطفى حين نزل بدار أبي أيوب الأنصاري: قصعة من طعام جاء بها زيد، أرسلته بها أمه النوار-رضي الله عنها-.

ويروي لنا زيد، قصة هذه الهدية، فيقول:

" أول هدية دخلت على رسول الله في بيت أبي أيوب، قصعة أرسلتني بها أمي إليه، فيها خبز مثرود بسمن ولبن، فوضعتها بين يديه، وقلت: يا رسول الله، أرسلت بهذه القصعة أمي. فقال رسول الله: "بارك الله فيك وفي أمك".

أفبعد هذه المنزلة لابن النوار منزلة تسمو إليها الهمم!!!

هنيئًا لك أيتها الأم، التي ربت فأحسنت تربية ابنها

فقد دفعته إلى رسول الله تريده لِيُلَقْى القرآن منه مباشرة، ودفعته صغيرًا إلى الجهاد في سبيل الله.

إنها النوار...

هذه الأم العظيمة، المباركة بدعوة رسول الله،

وهذا ابنها زيد، وذلك علمه، وتلك هي مكانته-رضوان الله عليه، ومن رباه-...

نعم... إنه عملها الصالح-رضوان الله عليها-...

كيف لا...

وقد أخبرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قائلًا: "إذا مات الإنسان، انقطع عمله، إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"... فالولد خلق الله وعمل الإنسان!!!

وإنما كمال المرأة الوظيفي: بأن تكون راعية، ومسئولة، ومربية...

إنه غاية ما يراد منها تحقيقه؛ حفظًا لفطرة الله، ونشرًا لرسالة الله، وخدمة لأمة رسول الله.

فلله درك أيتها النوار!

من مواقفها:

عن النوار بنت مالك، قالت: أقبل خولي برأس الحسين، فوضعه تحت إجانة في الدار، ثم دخل البيت فأوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر ما عندك؟ قال: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار. قالت: فقلت: ويلك! جاء الناس بالذهب والفضة، وجئت برأس ابن رسول الله، لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبدًا.

قالت: فقمت من فراشي فخرجت إلى الدار، فدعا الأسدية فأدخلها إليه، وجلست أنظر. قالت: فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة، ورأيت طيرًا بيضًا ترفرف حولها. قال: فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد.

❋ ❋ ❋

أسماء بنت عميس

هي أسماء بنت عميس، بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية ابن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن خلف بن أقبل، الخثعمية. وأمها: هند بنت عوف، بن زهير بن الحارث، الكنانية. وهي أخت ميمونة -زوج النبي صلى الله عليه وسلم- وأخت لبابة -أم الفضل- زوجة العباس، وأخوات ميمونة لأم هن عشر أخوات، وست لأب.

حياتها:

كانت حياتها -رضي الله عنها- مليئة بالأحداث والمواقف، وقد اختلفت الروايات، وقيل أن أسماء بنت عميس: كانت -قبل الإسلام- تحت [حمزة بن عبد المطلب] -ابن عم رسول الله-، أنجبت له ابنة -أمة الله-. ثم مِن بعده كانت تحت [شداد بن الهادي الليثي]، وأنجبت له:

عبدالله، وعبد الرحمن. ولكن قيل بعد ذلك: أن المرأة التي كانت تحت حمزة وشداد، هي سلمى بنت عميس، وليس أسماء أختها!

تزوجت أسماء بنت عميس [جعفر بن أبي طالب]، وأسلمت معه في وقت مبكر من بداية الدعوة إلى دين الرشاد والهدى، حتى أنه كان إسلامها قبل دخول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دار الأرقم بمكة.

كان زوج أسماء بنت عميس ابن عم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- جعفر بن أبي طالب-رضي الله عنه:- أحد السابقين إلى الإسلام، وأحد المدافعين عن الحق، الواقفين في وجه الظلم والكفر، وأحد المؤازرين لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان -رضي الله عنه- مقرّبا من الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكان عليه الصلاة والسلام يوده ويقربّه، وكان شبيها به -صلى الله عليه وسلم-، فقد كان عليه الصلاة والسلام، يقول لجعفر: "أشبهت خلقي وخلقي"، فكان ذلك يسر أسماء ويسعدها؛ ذلك عندما ترى زوجها شبيها بأحسن الخلق وأفضلهم، فكان يحرّك فيها مشاعر الشوق عندها لرؤية النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم-.

وكانت بالفعل نعم الزوجة الصالحة، المخلصة الوفيّة، المحبّة لزوجها، وحين أجمع رجال قريش على مقاطعة كل من دخل في دين الإسلام، أو آزر مسلما. فلما أذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالهجرة إلى الحبشة، كانت أسماء بصحبة زوجها، من جملة المسلمين المهاجرين، متحملين أذى قريش وطغيانهم، كل ذلك في سبيل الله تعالى، وتنفيذًا لأوامر نبيهم -عليه الصلاة والسلام-، فخرجوا تاركين مكة فرارًا بدينهم، شادين الرحال في سبيل الله، وكانت هذه الهجرة قد أقبلت بعد زواجهما بفترة حديثة، فانطلقا إليها، فقد كانت الهجرة قد وثّقت بينهما أكثر من السابق، وقد ملأ عليهما الإسلام كل ذاتيهما، وكل ذرة في كيانهما، فقد كانا نعم المؤمنين المجاهدين، الصابرين الصادقين، لأنهما كانا يعلمان أن ما عند الله تعالى خيرا وأبقى!!!

وصل المسلمون إلى الحبشة، وكانت أسماء وزوجها في مقدمتهم، وقد أقاموا في منزل متواضع صغير، تحيطه مرارة الغربة والقسوة، ولكنه كان غنيًا بالحب والمودة، والاحترام الذي يملأ الزوجين. حقًا، لقد ملأ جعفر حياة أسماء بحلوها ومرها؛ فساهمت مع زوجها، وتحملت أعباء نشر الحق والدعوة الإسلامية.

أنجبت لجعفر-رضوان الله عليهما- أبناءه الثلاثة: عبدالله، ومحمدًا، وعونًا، وكانوا في بلاد الحبشة. وكان ولدها -عبد الله- أكثر شبهًا بأبيه جعفر، الذي كان شبيهًا بالرسول -عليه الصلاة والسلام-، فكان ذلك يُبهِجها ويُزود من مشاعرها، لرؤية النبي الكريم -صلوات الله عليه-.

ظلت أسماء بنت عميس- رضي الله عنها في ديار الغربة قرابة خمسة عشر عامًا. كانت مدة طويلة، أدت إلى حدوث كثير من الأحداث والمتغيرات في مختلف النواحي والصعد، وكان -عليه الصلاة والسلام- دائم السؤال عن المسلمين هناك، فكان يوفد موفدين ورسل، ومن بينهم: " عمرو بن أمية الضمري" -رضي الله عنه-؛ ليزودهم -عليه الصلاة والسلام- بأحدث المستجدات، ويستطلع أخبارهم، ويعلمهم بما جد من تنزيل وأحكام في دين الله. وفي خلال تلك الفترة، وأثناء استقرار المسلمين في الحبشة، جاء وفد من قريش إلى ملك الحبشة -[النجاشي]- يطالبونه بالمسلمين وإرجاعهم إلى مكة، وكان من ضمن وفد قريش [عمرو بن العاص]، فقالوا:

" قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد

بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم". فما كان من النجاشي أن أرسل بطلب وفد المسلمين يسألهم بشأن هذا الأمر، فتقدم جعفر بن أبي طالب، زوج أسماء -رضي الله عنها- فقال: " أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، حتى بعث الله إلينا رسولًا منا..فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع الأوثان، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام..." فتشوّق النجاشي لسماع المزيد، فسأله عما جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام- من عند الله. فأسمعه من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى أخضلّت لحيته، وبكت معه أساقفته، فقال النجاشي: " إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكيدهم أحد" فكان ذلك سببا في إسلام النجاشي، وكان النجاشي سببًا في إسلام وفد قريش والذي كان من بينهم عمرو بن العاص.

كانت هذه حصيلة هجرة المسلمين إلى الحبشة، والذين صابروا وجاهدوا والذي لمسه النجاشي من سلوك المهاجرين، وكانت أسماء من

بينهم، إحدى الداعيات بالقول والعمل والسلوك، وكان ذلك أول اختبار تجتازه.

عادت أسماء من الحبشة متوجهة إلى هجرة ثانية، كانت إلى المدينة المنورة، فتوجهت زائرة حفصة زوج النبي-صلى الله عليه وسلم-، فدخل عليهما عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قائلًا: " لقد سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله -صلى الله عليه وسلم- منكم"، فغضبت -رضي الله عنها- وقالت: "أي لعمري لقد صدقت؟! كنتم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم، يطعم جائعكم، ويعلّم جاهلكم، وكنّا البعداء الطرداء. أما والله لأتين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلأذكرن ذلك له، ولا أنقص ولا أزيد في ذلك".

فذكرت ذلك له، فقال:" لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي! وهاجرتم إلّي"، فسرّت بذلك وأثلج صدرها، ولم يكن ذلك نوعًا من تطييب الخاطر، وإراحة النفس لأسماء فقط، بل كان توضيحًا للحقيقة وقطعًا لدابر الفتنة، فهم تركوا مكة فارين بدينهم إلى الحبشة، فكانت "هجرة"، وهم أنفسهم انتقلوا من الحبشة إلى المدينة فهذه "هجرة".

وبدأ الاختبار الجِدّي الآخر لأسماء. بعد أن عادت من الحبشة وحلّت في المدينة. فرح الرسول -عليه الصلاة والسلام- بعودتها، وقد صاحب ذلك فتح خيبر فقال:" لا أدري بأيهما أفرح؟ بفتح خيبر؟ أو بقدوم جعفر؟"

فمضت أسماء إلى بيت النبوة، تزور زوجاته وبناته، ومضى جعفر مع الرسول -عليه الصلاة والسلام- يشهد معه كل المشاهد حتى جاء يوم الاختبار الفعلي لأسماء، يوم استشهاد زوجها جعفر في موقعة مؤتة، فقد بلغ الرسول -عليه الصلاة والسلام- خبر استشهاده، فحزن حزنًا شديدًا عليه، فقد كانت له معزّة خاصة ومكانة عالية عند النبي -عليه الصلاة والسلام-، وكان مؤازرًا له، مدافعًا عنه، وكان خير الناس للمساكين، حنون، عطوف عليهم، وفوق هذا كله فهو شبيه الرسول -عليه الصلاة والسلام-، لذلك كان حزنه عليه كبيرًا، حين ذهب -عليه الصلاة والسلام- إلى أسماء؛ لكي يخبرها باستشهاد زوجها.

وقد روت الجليلة العفيفة -أسماء- عن نبأ وفاته...." أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر وأصحابه، فأتاني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولقد هنأت [أي دبغت أربعين إهابًا من آدم]، وعجنت

عجيني، وأخذت بني فغسلت وجوههم ودهنتهم، فدخل عليّ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: " يا أسماء: أين بنو جعفر؟". فجاءت بهم، فقبلهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبكى، فأحست أسماء بحدوث شيء لزوجها، فسألت النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال لها: " قتل جعفر اليوم"، فقامت تصيح وتنحب، حتى اجتمع عليها الناس يهدئونها من روعها. فقال عليه الصلاة والسلام: " يا أسماء لا تقولي هجرًا، ولا تضربي صدرًا". وكان -عليه الصلاة والسلام- عندما يرى أسماء، ويرى فيها الحزن البالغ، وثورة البكاء العارمة، كان يطمئنها قائلًا: " يا أسماء، هذا جعفر بن أبي طالب، قد مر مع جبريل وميكائيل" فرد -عليه السلام-، ثم قال -صلوات الله عليه:-" فعوضّه الله عن يديه جناحين يطير بهما حيث شاء".

وتمر الأيام والشهور، وأسماء -رضي الله عنها- صابرة، مخلصة لذكرى زوجها، فكيف لا وقد كان الزوج، والحبيب، والرفيق. فظلت منكبة على تربية أولادها، تعلمهم مبادئ الحق والتقوى، داعية إلى الله ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا. حتى تقدّم لها [أبو بكر الصديق]، طالبًا الزواج منها، فكان ذلك هدية من الله لأسماء الطاهرة العفيفة عن

صبرها. فقبلت الزواج منه، وانتقلت معه إلى بيت الزوجية، وكانت نِعم الزوجة المخلصة، وكان هو مثالًا للزوج الصالح، الذي تستمد منه نور الإيمان، وبقيت عنده إلى أيام خلافته، وأنجبت له ابنه " محمدًا".

وعندما أحس أبوبكر الصديق بدنو أجله، أوصى أسماء بتغسيله -رضي الله عنهما-، وأوصاها إن كانت صائمة في ذلك اليوم أن تفطر، وهذا يدل على منتهى الحب والثقة التي كان يوليها لزوجته أسماء -رضي الله عنهما-. وعندما حانت ساعة الموت، حزنت أسماء وهي تعجز عن النظر إليه، الذي كان يشع بالنور، فدمعت عيناها، وخشع قلبها، فصبرت، واحتسبت لله تعالى. فعندما قامت بتنفيذ الوصية الأولى بغسله، وقد أضناها الحزن العميق، نسيت الوصية الثانية، فقد كانت صائمة، فعندما غابت الشمس وحان موعد إفطارها، أخذت تسأل فهل تنفذ الوصية أم لا، فكان موقفًا صعبًا، أن وفاؤها لزوجها أبَى عليها أن ترد عزيمة زوجها الراحل -رضي الله عنه-، فدعت بماء وشربت.

أخذت أسماء على عاتقها الدعوة إلى الله، وتربية أبنائها من جعفر، وابنها محمد بن أبي بكر، تدعو الله أن يوفقهم، ويصلح الله بينهم. وبعد

فترة وجيزة كان علي -كرم الله وجهه- ينتظر انتهاء عدتها، ليتقدم إليها، فهو رفيق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وصهره لابنته الراحلة -فاطمة الزهراء-رضوان الله عليها-، وشقيق جعفر الطيار -زوجها السابق-، فكان وفاء لأخيه الحبيب جعفر، ولصديقه أبو بكر الصديق -رضوان الله عليهم أجمعين-.

تزوج [علي بن أبي طالب] -رضي الله عنه- بأسماء بنت عميس، وعاشت معه، فكانت له صورة للمرأة المسلمة، والزوجة المؤمنة، وقد أنجبت له يحيى وعونًا، فكانت مثالًا لكل فتاة، ولكل زوجة وأم في كل زمان ومكان. كان علي -كرم الله وجهه- معجبًا بها، وبذكائها، ورجاحة عقلها، فقد اختلف ولديها: " محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر" فيما بينهما، وكل منهما يتفاخر بأبيه، فقال كل منهما:" أنا أكرم منك، وأبي خير من أبيك". وجعل علي -كرم الله وجهه- هذه المسألة لأسماء، فكان ذلك دلالة على أنه كان يريد منها أن تستخرج من فؤادها من الحب والوفاء، واختبارًا لذكائها. فلما وقفت أسماء بين ولديها، قالت

بكل ثقة ومن غير تردد:" ما رأيت شابًا خيرًا من جعفر، ولا كهلًا خيرًا من أبي بكر". فسكت الولدان، وتصالحا فقال علي مداعبًا:" فما أبقيت لنا؟".

وهكذا، كانت أسماء نموذجًا حيًا لأخلاق القرآن والإسلام، وأخذت تكبر في عين علي -رضوان الله عليه- حتى أصبح يردد في كل مكان: " كذبتكم من النساء الخارقة، فما ثبتت منهن امرأة إلا أسماء بنت عميس".

وفاتها:

ظلت -رضي الله عنها-، على مستوى المسئولية التي وضعت لأجلها، زوجة لخليفة المسلمين، وكانت على قدر هذه المسئولية لما كانت تمر عليها من الأحداث الجسام، حتى جاء على مسمعها مقتل ولدها [محمد بن أبي بكر]، فتلوت من الحزن والألم عليه، فعكفت في مصلاها،

وحبست دمعها وحزنها، حتى شخب ثديها -سال منها دما- ونزفت، وتمر الأيام، والأحداث، حتى فجعت بمقتل زوجها [الخليفة علي بن أبي طالب] -كرم الله وجهه-، فلم تعد قادرة على احتمال المصائب والأوجاع، حتى وقعت صريعة المرض، تتلوى من شدة الألم على فراق أزواجها -الصحابة الطاهرين-، وولدها -محمد بن أبي بكر-، وفاضت روحها إلى السماوات العلى، فرضي الله عنها.

الشفاء بنت عبد الله العدوية

-رضي الله عنها-

مقدمة:

هي الشفاء بنت عبد الله، بن عبد شمس بن عدي بن كعب، القرشية، العدوية. واسمها ليلى وغلب عليها [الشفاء].

وقال أبو عمر: أمها [فاطمة بنت وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران]، المخزومية.

إسلامها:

أسلمت الشفاء قبل الهجرة، فهي من المهاجرات الأول، وبايعت النبي -صلى الله عليه وسلم- كانت من عقلاء النساء وفضلائهن، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأتيها، ويقيل عندها في بيتها، وكانت قد اتخذت له فراشًا وإزارًا ينام فيه.

بعض المواقف من حياتها مع الرسول صلى الله عليه وسلم:

وكانت الشفاء ترقى في الجاهلية، ولما هاجرت إلى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، وكانت قد بايعته بمكة قبل أن يخرج، فقدمت عليه، فقالت: يا رسول الله، إني قد كنت أرقي برُقَى في الجاهلية، فقد أردت أن أعرضها عليك. قال: فاعرضيها. قالت: فعرضتها عليه. وكانت ترقى من النملة، فقال: ارقي بها وعلميها حفصة. إلى هنا رواية ابن منده، وزاد أبو نعيم: " باسم الله صلو صلب خير يعود من أفواهِهَا، ولا يضُرُّ أحدًا، اكشفْ الباسَ ربَّ الناسِ". قال: ترقي بها على عود كُرْكُمْ سبع مرات، وتضعه مكانا نظيفا، ثم تدلكه على حجر بِخَلٍّ خُمْرٍ مصفًّى، ثم تطليه على النَّمْلة.

بعض المواقف من حياتها مع الصحابة:

ويروي أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة: أن عمر بن الخطاب فقد [سليمان بن أبي حثمة] في صلاة الصبح، وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق، ومسكن سليمان بين المسجد والسوق، فمر على الشفاء -أم

سليمان- فقال لها: لم أر سليمان في صلاة الصبح! فقالت له: إنه بات يصلي فغلبته عيناه! فقال عمر: لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة أحب إلي من أن أقوم ليلة.

وكان عمر يقدمها في الرأي ويرعاها ويفضلها، وربما ولاها شيئا من أمر السوق.

وعن محمد سلام قال: أرسل عمر بن الخطاب إلى [الشفاء بنت عبد الله العدوية] أن اغدي علي. قالت: فغدوت عليه، فوجدت [عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص] ببابه، فدخلنا، فتحدثنا ساعة، فدعا بنمط، فأعطاها إياه، ودعا بنمط دونه، فأعطانيه. قالت: فقلت تربت يداك يا عمر، أنا قبلها إسلاما، وأنا بنت عمك دونها، وأرسلت إلي وجاءتك من قبل نفسها. فقال: ما كنت رفعت ذلك إلا لك، فلما اجتمعتما ذكرت أنها أقرب الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منك.

بعض المواقف من حياتها مع التابعين:

قال أبو خيثمة: رأت الشفاء بنت عبد الله، فتيانًا يقصدون في المشي، ويتكلمون رويدًا، فقالت: "ما هذا؟ قالوا: نساك، فقالت: كان والله

عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله ناسك حقًا "

بعض الأحاديث التي روتها عن النبي صلى الله عليه وسلم:

روي عن الشفاء بنت عبد الله، وكانت امرأة من المهاجرات، قالت: "إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سئل عن أفضل الأعمال فقال: إيمان بالله، وجهاد في سبيل الله -عز وجل-، وحج مبرور".

❋ ❋ ❋

بريرة مولاة عائشة

رضي الله عنهما

أهم ملامح شخصيتها:

إن فضائل الصحابية الجليلة -بريرة- كثيرة، ذكرتها كتب السيرة والسنة، في مواضع كثيرة لا تحصى، وكان لها نصيب وافر، في خدمة السيدة عائشة، والرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكذلك في الجهاد في سبيل الله، حيث كانت تخرج مع السيدة عائشة، تؤدي دورها مع الصحابيات الأخريات، من سقاية المجاهدين، وتطبيب الجرحى.

والثابت أن الصحابية الجليلة -بريرة- كانت دائما في خدمة السيدة عائشة -رضي الله عنها-، وكذلك الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكانت ذات شجاعة نادرة وبطولة. وليس عجبًا أن تكون كذلك، فهي تعيش مع السيدة عائشة، أم المؤمنين، وابنة الصديق، وزوجة الرسول -صلى الله عليه وسلم-..

وكانت بريرة مثالًا في الكرم والجود والعطاء، وعاشت صابرة مؤمنة، تحافظ على دينها، وإسلامها، وكانت حياتها مثال الزهد والتقوى، والخوف من الله.

ومن مواقفها مع الرسول -صلي الله عليه وسلم-:

تحكي لنا كتب السيرة، أن لهذه الصحابية موقفًا مشرفًا، مع السيدة عائشة، وكذلك مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، في حادثة الإفك، قبل نزول البراءة من الله. حيث إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- سأل، واستشار من حوله من الأصحاب، والأقارب، فيما يقال عن عائشة -رضي الله عنها-، قبل نزول القرآن بالبراءة، فسأل أسامة بن زيد وعليًا بن أبي طالب، فأشار أسامة بن زيد على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود.. فقال: يا رسول الله، أهلك، ولا نعلم إلا خيرا.

أما علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وان تسأل الجارية تصدق الخبر.

وأراد الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه:- أن يهون الأمر على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهو لم يصدق ما يزعمه المنافقون، وأشار عليه أن يسأل الجارية، عن أخلاق وأحوال السيدة عائشة، والجارية هي الخادمة الملازمة لسيدتها بالبيت، فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالجارية -بريرة-، فقال لها: "أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟"

فقالت بريرة: والذي بعثك بالحق، إن ما رأيت عليها أمرا قط أغمضه عليها، أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن -الدواجن- فتأكله.

وعن عائشة، زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت: كان في بريرة ثلاث سنن، إحدى السنن: أنها أعتقت فخيرت في زوجها، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (الولاء لمن أعتق).

ودخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والبرمة تفور بلحم، فقرب إليه خبز، وأدم من أدم البيت، فقال: (ألم أر البرمة فيها لحم)! قالوا بلى، ولكن ذلك اللحم تصدق به على بريرة، وأنت لا تأكل الصدقة. قال: عليها صدقة، ولنا هدية.

من مواقفها مع الصحابة:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: جاءتني بريرة، فقالت: كاتبت أهلي على تسع أواق، في كل عام أوقية، فأعينيني. فقلت: إن أحب أهلك أن أعدها لهم، ويكون ولاؤك لي، فعلت. فذهبت بريرة إلى أهلها، فقالت لهم، فأبوا عليها، فجاءت من عندهم، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس، فقالت: إني قد عرضت ذلك عليهم فأبوا، إلا أن يكون الولاء لهم. فسمع النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأخبرت عائشة النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: (خذيها واشترطي لهم الولاء، فإنما الولاء لمن أعتق).

ولها موقف مع زوجها مغيث:

عن عكرمة، عن ابن عباس: أن زوج بريرة، كان عبدًا، يقال له [مغيث]، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي، ودموعه تسيل على لحيته. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لعباس: "يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا"، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- أي مخاطبًا بريرة:-" لو راجعته".

قالت: يا رسول الله تأمرني؟

قال: إنما أنا أشفع.

قالت: لا حاجة لي فيه.

قال ابن حجر في الفتح: (فلا حاجة لي فيه): أي فإذا لم تلزمني بذلك لا أختار العود إليه. وقد وقع في الباب الذي بعده "لو أعطاني كذا وكذا ما كنت عنده ". أ. ه

وهذا يدل على استعدادها التام لقبول تنفيذ أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- لو كان على سبيل الوجوب.

من مواقفها مع التابعين:

عن عبد الملك بن مروان، قال: كنت أجالس بريرة بالمدينة، قبل أن ألي هذا الأمر، فكانت تقول: يا عبد الملك، إني لأرى فيك خصالا، وخليق أن تلي أمر هذه الأمة، فإن وليته فاحذر الدماء، فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن الرجل ليدفع عن باب الجنة أن ينظر إليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق".

وفاتها:

وتوفيت الصحابية الجليلة -بريرة- -رضي الله عنها-، في زمن خلافة[يزيد بن معاوية]، كما جاء ذكر ذلك في الطبقات لابن سعد، والمستدرك، والاستيعاب، وأسد الغابة، وأعلام النساء.

فرضي الله عن بريرة وأدخلها فسيح جناته.

أسماء بنت يزيد..

خطيبة النساء

شخصية نسويّة متميزة، صقلها الإسلام فارتفع بها إلى أعلى المراتب..

واحدة من فتيات الإسلام اللواتي تخرجن من مدرسة النبوة..

على الرغم مما امتازت به أسماء -رضي الله عنها- من رهافة الحسن، ونبل المشاعر، ورقة العاطفة، فقد كانت إلى جانب كل هذا، كغيرها من فتيات الإسلام اللواتي تخرجن من مدرسة النبوة، لا تعرف الخضوع في القول، ولا الهبوط في المستوى، ولا تقبل الضيم والذل، بل هي شجاعة، ثابتة، مجاهدة، قدمت لبنات جنسها نماذج رائعة في شتى الميادين.

وفدت -رضي الله عنها- على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في السنة الأولى للهجرة، وبايعته بيعة الإسلام. وأخذت أسماء بعد ذلك تسمع حديث الرسول الشريف، وتسأله عن دقائق الأشياء والأمور،

لتتفقه في أمور الدين. وكانت شخصيتها قوية، لا تستحي من الحق، وبذلك يقول عنها ابن عبد البر" كانت من ذوات العقل والدين".

و كانت تنوب -رضي الله عنها- عن نساء المسلمين، في مخاطبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما يتعلق بهن، وقد أتته ذات مرة فقالت له: " يا رسول الله، إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي، وهن على مثل رأيي، إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فأمنا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات، قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضلوا بالجمعات، وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجرة، يا رسول الله؟؟" فالتفت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إلى أصحابه، وقال: "هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالًا عن دينها من هذه؟" فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال -صلى الله عليه وسلم- " انصرفي يا أسماء، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعّل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال". وحسن التبعّل: أي حسن المصاحبة في الحياة الزوجية والمعاشرة.

وما إن أقبلت السنة الثالثة عشرة للهجرة، بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-، حتى كانت معركة اليرموك العصبية الشريرة. وفي هذه المعركة العظيمة، كانت [أسماء بنت يزيد] مع الجيش الإسلامي، مع أخلاقها من المؤمنات، خلف المجاهدين، تبذل جهدها في مناولة السلاح، وسقي الماء، وتضميد الجراح، والشد من عزائم الأبطال المسلمين.

و لكن، عندما تأزمت المعركة، وحمي الوطيس، واحمرت الحدق، حينئذ أدركت أن الواجب يحتم عليها أن تجاهد بما في وسعها وطاقتها، ولم تجد أمامها إلا عمود خيمة، فحملته وانغمرت في الصفوف، وأخذت تضرب به أعداء الله ذات اليمين وذات الشمال، حتى قتلت به تسعة من الروم.

وخرجت أسماء من المعركة، وقد أقلت الجراح كاهلها، وشاء الله لها أن تظل على قيد الحياة بعد ذلك سبعة عشر عاما، حيث إنها لم تمت إلا في حدود السنة الثلاثين من الهجرة، وبعد أن قدمت للأمة كل خير.

'' فرحم الله أسماء بنت يزيد بن السكن، وأكرم مثواها، بما روت لنا من أحاديث، وبما بذلت وعملت لتكون درسًا لغيرها، في تقديم ما بوسعها، وطاقتها، في سبيل نصرة الحق، ورفع راية الإسلام خفاقة، حتى يكون الدين كله لله ''.

خولة بنت الأزور

رضي الله عنها

مقدمة:

إن خولة بنت الأزور امرأة، ليست ككل النساء، لقد تميزت -رضي الله عنها- عنهن بالكثير من الصفات والمواصفات، تربت في البادية العربية، مع أبناء قبيلتها -بني أسد-، ولازمت أخاها ضرارًا، فكانا دومًا معًا.

دخلت الإسلام مع من دخل من أبناء العروبة، في ذلك الزمن الأول للإسلام...، وشاء الله أن تكون، وأخوها ضرار، مع الكتائب الطلائعية، المتقدمة للجهاد، في سبيل الله، وإعلاء كلمة الحق والدين...، فشاركت بكل قوة، وببسالة نادرة، بين الرجال والنساء، وعلى مر العصور، في الكر والفر!... في حمل الرماح، ورمي السهام، وقد ضربت بالحسام خاصة، عندما وقع أخوها ضرار في الأسر، بعد أن أبلى بلاءً منقطع النظير.

مضت خولة بنت الأزور، في زمن قديم لنا، إلا أنها تستحق نظرة دارسة، نظرة متفحصة، بل نظرة إعزاز وإكبار وتعظيم...؛ إنها قدوة لبنات العرب والمسلمين، في زماننا، بل قدوة في كل عصر، قدوة للرجال، قدوة للنساء، بل إنها قدوة للصغار والكبار جميعا؛ قدوة في الشجاعة والبسالة، والتعاون والتآزر مع الأهل والأخوة.

إن ما عرض عنها، هو أهم ما ذكرته المراجع المتوفرة، وهو نزر يسير، رويت فيه بعض أشعارها، وأخبارها، بعدما كبرت، واشتهرت، والسبب معروف... فهي بنت من البادية العربية، التي لم تعرف الكتابة، ولا التدوين في أيامها الأولى، لذا؛ قل التنوع، والتنويع لدى الكتاب، والباحثين القدامى، والمحدثين عنها، وعن غيرها. إنها نموذج رائع للنساء المسلمات، تستحق منا الإكبار، وتستحق منا الدراسة!

من مواقفها البطولية لإنقاذ أخيها:

وهي من ربات الشجاعة والفروسية، خرجت مع أخيها -ضرار بن الأزور- إلى الشام، وأظهرت في المواقع التي دارت رحاها بين المسلمين

والروم بسالة فائقة، خلد التاريخ ذكرها في سجل الأبطال البواسل، فأسر أخوها ضرار في إحدى الموقعات فحزنت لأسره حزنًا شديدًا. وقالت:

فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا
لكنا وقفنا للوداع وودعنا
فهل بقدوم الغائبين تبشرنا
وكنا بهم نزهو وكانوا كما كنا
وأقبحه ماذا يريد النوى منا
ففرقنا ريب الزمان وشتتنا
لثمنا خفافًا للمطايا وقبلنا
تركناه في دار العدو ويممنا
وما نحن إلاّ بمثل لفظ بلا معنى
إذا ما ذكرهم ذاكر قلبي المضنى
وإن بعدوا عنا وإن منعوا منا
ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا

فلو كنت أدري أنه آخر اللقا
ألا يا غراب البين هل أنت مخبري
لقد كانت الأيام تزهو لقربهم
ألا قاتل الله النوى ما أمرّه
ذكرت ليلي الجمع كنا سوية
لئن رجعوا يومًا إلى دار عزهم
ولم أنس إذ قالوا ضرار مقيد
فما هذه الأيام إلاّ معارة
أرى القلب لا يختار في الناس غيرهم
سلام على الأحباب في كل ساعة

ومن موقعاتها في أجنادين (وهي قرية: تقع شرقي القدس في فلسطين): أن خالد بن الوليد نظر إلى فارس طويل، وهو لا يبين منه إلا الحدق، والفروسية تلوح من شمائله، وعليه ثياب سود، وقد تظاهر بها من فوق لامته، وقد حزم وسطه بعمامة خضراء، وسحبها على صدره، وقد سبق أمام الناس كأنه نار.

فقال خالد: ليت شعري من هذا الفارس؟ وأيم الله إنه لفارس شجاع. ثم لحقه والناس. وكان هذا الفارس أسبق إلى المشركين، فحمل على عساكر الروم، كأنه النار المحرقة، فزعزع كتائبهم، وحطم مواكبهم، ثم غاب في وسطهم، فما كانت إلا جولة الجائل، حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء من الروم، وقد قتل رجالًا، وجندل أبطالًا، وقد عرّض نفسه فللهلاك، ثم اخترق القوم غير مكترث بهم، ولا خائف، وعطف على كراديس الروم.

فقلق عليه المسلمون، وقال رافع بن عميرة: ليس هذا الفارس إلاّ خالد بن الوليد، ثم أشرف عليهم خالد، فقال رافع: من الفارس الذي تقدم أمامك، فلقد بذل نفسه ومهجته؟، فقال خالد: والله أني أشد إنكارًا منكم له، ولقد أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله، فقال رافع: أيها الأمير إنه منغمس في عسكر الروم يطعن يمينًا وشمالًا، فقال خالد: معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم، وساعدوا المحامي عن دين الله، فأطلقوا الأعنة، وقوموا الأسنة، والتصق بعضهم ببعض، وخالد أمامهم، ونظر إلى الفارس فوجده كأنه شعلة من نار، والخيل في إثره، وكلما لحقت به الروم، لوى عليهم وجندل، فحمل خالد ومن معه،

ووصل الفارس المذكور إلى جيش المسلمين، فتأملوه فرأوه وقد تخضب بالدماء، فصاح خالد والمسلمون: لله درك من فارس.. بذل مهجته في سبيل الله، وأظهر شجاعته على الأعداء.. اكشف لنا عن لثامك، فمال عنهم ولم يخاطبهم، وانغمس في الروم، فتصايحت به الروم من كل جانب، وكذلك المسلمون، وقالوا: أيها الرجل الكريم، أميرك يخاطبك، وأنت تعرض عنه، اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيمًا. فلم يرد عليهم جوابًا، فلما بعد عن خالد، سار إليه بنفسه، وقال له: ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك، من أنت؟

فلما ألح خالد، خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث، وقال: إنني يا أمير لم أعرض عنك إلاّ حياءً منك، لأنك أمير جليل، وأنا من ذوات الخدور، وبنات الستور. فقال لها: من أنت؟ فقالت: خولة بنت الأزور، وإني كنت مع بنات العرب، وقد أتاني الساعي بأن ضرارًا أسير، فركبت وفعلت ما فعلت، قال خالد: نحمل بأجمعنا، ونرجو من الله أن نصل إلى أخيك فنفكه.

قال عامر بن الطفيل: كنت عن يمين خالد بن الوليد حين حملوا، وحملت خولة أمامه، وحمل المسلمون، وعظم على الروم ما نزل بهم من

خولة بنت الأزور، وقالوا: إن كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم طاقة.

وجعلت خولة تجول يمينًا وشمالًا، وهي لا تطلب إلاّ أخاها، وهي لا ترى له أثرًا، ولا وقفت له على خبر إلى وقت الظهر. وافترق القوم بعضهم عن بعض، وقد أظهر الله المسلمين على أعدائهم، وقتلوا منهم عددًا عظيمًا.

أسر النساء:

ومن مواقفها الرائعة، موقفها يوم أسر النساء في موقعة صحورا (بالقرب من مدينة حمص السورية). فقد وقفت فيهن، وكانت قد أسرت معهن، فأخذت تثير نخوتهن، وتضرم نار الحمية في قلوبهن، ولم يكن من السلاح شيء معهن. فقالت: خذن أعمدة الخيام، وأوتاد الأطناب، ونحمل على هؤلاء اللئام، فلعل الله ينصرنا عليهم، فقالت [عفراء بنت عفار]: والله ما دعوت إلاّ إلى ما هو أحب إلينا مما ذكرت. ثم تناولت كل واحدة منهن عمودًا من عمد الخيام، وصحن صيحة

واحدة. وألقت خولة على عاتقها عمودها، وتتابعن وراءها، فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكن عن بعض، ومن كالحلقة الدائرة، ولا تتفرقن فتملكن، فيقع بكن التشتيت، واحطمن رماح القوم، واكسرن سيوفهم. وهجمت خولة، وهجمت النساء من ورائها، وقاتلت بهن قتال المستيئس المستميت، حتى استنقذتهن من أيدي الروم، وخرجت وهي تقول:

نحن بنات تبع وحمير وضربنا في القوم ليس ينكر
لأننا في الحرب نار تستعر اليوم تسقون العذاب الأكبر

الخاتمة

في هذه السيرة البطولية، عرضت نماذج مشهورة، ومذكورة في الكتب عن خولة بنت الأزور، وكيف شاركت في المعارك الإسلامية الكبيرة، في فتوح بلاد الشام. والحقيقة تقال: أن المعلومات المتوفرة عنها قليلة، ولعل السبب واضح، حيث عاشت مثل غيرها من بنات البادية

العربية عيشة متواضعة وبسيطة...، ونخلص من هذا البحث القصير، إلى أن خولة بنت الأزور: تعد نموذجًا إنسانيًّا رائعًا، يحتذى به في الدفاع عن النفس، والوطن، والعقيدة. فرضت نفسها بقوة وصلابة، على كل شخص حضر صولاتها، وجولاتها، في ميادين الفروسية.

الخنساء

رضي الله عنها

مقدمة:

هي تماضر بنت عمرو بن الحارث، السلمية، ولقبها [الخنساء]، وسبب تلقيبها بالخنساء؛ قصر أنفها وارتفاع أرنبتيه.

حالها في الجاهلية:

عرفت الخنساء -رضي الله عنها- بحرية الرأي، وقوة الشخصية، ونستدل على ذلك: من خلال نشأتها في بيت عز وجاه، مع والدها، وأخويها: معاوية وصخر، ومن القصائد التي كانت تتفاخر بها، بكرمهما وجودهما، وقد أثبتت قوة شخصيتها برفضها الزواج من [دريد بن الصمة] أيضًا، وهو أحد فرسان بني جشم؛ لأنها آثرت الزواج من أحد بني قومها، فتزوجت من ابن عمها [رواحة بن عبد العزيز السلمي]،

إلا أنها لم تدم طويلًا معه؛ لأنه كان يقامر، ولا يكترث بماله، لكنها أنجبت منه ولدًا، ثم تزوجت بعده من ابن عمها [مرداس بن أبي عامر السلمي]، وأنجبت منه أربعة أولاد.

وإن أكثر ما اشتهرت به الخنساء في الجاهلية، هو شعرها، وخاصة رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية، واللذين ما فتأت تبكيهما، حتى خلافة عمر. ومما يذكر في ذلك ما كان بين الخنساء وهند بنت عتبة، قبل إسلامها..... نذكره لنعرف إلى أي درجة اشتهرت الخنساء بين العرب في الجاهلية بسبب رثائها أخويها.

عندما كانت وقعة بدر، قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، فكانت هند بنت عتبة ترثيهم، وتقول بأنها أعظم العرب مصيبة. وأمرت بأن تقارن مصيبتها بمصيبة الخنساء في سوق عكاظ، وعندما أتى ذلك اليوم، سألتها الخنساء: من أنت يا أختاه؟ فأجابتها: أنا هند بنت عتبة، أعظم العرب مصيبة، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك، فبم تعاظمينهم أنت؟ فقالت: بأبي عمرو الشريد، وأخي صخر، ومعاوية. فبم أنت تعاظمينهم؟ قالت الخنساء: أوهم سواء عندك؟ ثم أنشدت [هند بنت عتبة] تقول:

أبكي عميد الأبطحين كليهما ومانعها من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي وشيبة والحامي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب وفي العز منها حين ينمي عديدها

فقالت الخنساء:

أبكي أبي عمراً بعين غزيرة قليل إذا نام الخلي هجودها
وصنوي لا أنسى معاوية الذي له من سراة الحرتين وفودها
و صخرا ومن ذا مثل صخر إذا غدا بساحته الأبطال قزم يقودها
فذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها

إسلامها:

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: "قدمت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، مع قومها من بني سليم، فأسلمت معهم".

وتعد الخنساء من المخضرمين؛ لأنها عاشت في عصرين: عصر الجاهلية، وعصر الإسلام. وبعد ظهور الإسلام أسلمت وحسن إسلامها.

الخنساء شاعرة:

'' يغلب عند علماء الشعر، على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها ''.

- كان بشار يقول: إنه لم تكن امرأة تقول الشعر، إلا يظهر فيه ضعف. فقيل له: وهل الخنساء كذلك، فقال تلك التي غلبت الرجال. أنشدت الخنساء قصيدتها التي مطلعها:

قذى بعينيك أم بالعين عوار.. ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

- وسئل جرير عن أشعر الناس، فأجابهم: أنا، لولا الخنساء. قيل: فيم فضل شعرها عنك، قال: بقولها:

إن الزمان وما يفنى له عجب.. أبقى لنا ذنبا واستؤصل الرأس

البلاغة وحسن المنطق والبيان:

في يوم من الأيام، طلب من الخنساء أن تصف أخويها معاوية وصخر، فقالت: أن صخرًا كان الزمان الأغبر، وذعاف الخميس الأحمر. وكان معاوية القائل الفاعل. فقيل لها: أي منهما كان أسنى

وأفخر؟ فأجابتهم: بأن صخر حر الشتاء، ومعاوية برد الهواء. قيل: أيهما أوجع وأفجع؟ فقالت: أما صخر فجمر الكبد، وأما معاوية فسقام الجسد.

الشجاعة والتضحية.

ويتضح ذلك في موقفها يوم القادسية واستشهاد أولادها. فقالت الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم.

ولها موقف مع الرسول -صلي الله عليه وسلم-، فقد كان يستنشدها فيعجبه شعرها، وكانت تنشده وهو يقول: " هيه يا خناس ". أو يومي بيده.

أثر الرسول فى تربيتها:

تلك المرأة العربية، التي سميت بالخنساء، واسمها [تماضر بنت عمرو]، ونسبها ينتهي إلى مضر:

مرت بحالتين متشابهتين، لكن تصرفها تجاه كل حالة كان مختلفا مع سابقتها أشد الاختلاف، متنافرًا أكبر التنافر، أولاهما في الجاهلية،

وثانيهما في الإسلام. وإن الذي لا يعرف السبب يتحير من تصرف هذه المرأة.

- أما الحالة الأولى: فقد كانت في الجاهلية، يوم سمعت نبأ مقتل أخيها صخر، فوقع الخبر على قلبها كالصاعقة في الهشيم، فلبت النار به، وتوقدت جمرات قلبها حزنًا عليه، ونطق لسانها بمرثيات له بلغت عشرات القصائد، وكان مما قالته:

قذى بعينك أم بالعين عوار أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار
كأن عيني لذكراه إذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار
وإن صخرا لوالينا وسيدنا وإن صخرا إذا نشتو لنحار
وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا وإن صخرا إذا جاعوا لعقار
وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
حمال ألوية هباط أودية شهاد أندية للجيش جرار

ومما فعلته حزنا على أخويها "صخر ومعاوية"، ما روي عن عمر: أنه شاهدها تطوف حول البيت، وهي محلوقة الرأس، تلطم خديها، وقد علقت نعل صخر في خمارها.

- أما الحالة الثانية، التي مرت بها هذه المرأة، والتي هي بعيدة كل البعد عن الحالة الأولى: فيوم نادى المنادي، أن هبي جيوش الإسلام، للدفاع عن الدين والعقيدة، ونشر الإسلام، فجمعت أولادها الأربعة، وحثتهم على القتال، والجهاد في سبيل الله، لكن العجيب في الأمر: يوم بلغها نبأ استشهادهم؛ فما نطق لسانها برثائهم وهم فلذات أكبادها، ولا لطمت الخدود، ولا شقت الجيوب، وإنما قالت برباطة جأش، وعزيمة، وثقة: "الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، وإني أسأل الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته"!

ومن لا يعرف السبب، الذي حول هذه المرأة، من حال إلى حال، يظل في دهشة، ويبقى في حيرة من أمره؛ فهذه المرأة تسلل إلى قلبها أمر غير حياتها، وقلب أفكارها، ورأب صدع قلبها، إنها باختصار دخلت في الإسلام... نعم، دخلت في الإسلام، الذي أعطى مفاهيمًا جديدة لكل شيء، مفاهيمًا جديدة عن الموت والحياة والصبر والخلود.

فانتقلت من حال اليأس والقنوط، إلى حال التفاؤل والأمل، وانتقلت من حال القلق والاضطراب، إلى حال الطِمأنينة والاستقرار،

وانتقلت من حال الشرود والضياع، إلى حال الوضوح في الأهداف، وتوجيه الجهود إلى مرضاة رب العالمين.

'' نعم... إنه الإسلام ،

الذي ينقل الإنسان من حال إلى حال، ويرقى به إلى مصاف الكمال!

فيتخلى عن كل الرذائل، ويتحلى بكل الشمائل،

ليقف ثابتًا في وجه الزمن، ويتخطى آلام المحن،

وليحقق الخلافة الحقيقية، التي أرادها الله للإنسان، خليفة على وجه هذه الأرض.''

من مواقفها مع الصحابة:

لها موقف يدل علي وفائها ونبلها، مع أمير المؤمنين -عمر بن الخطاب- فلم تزل الخنساء تبكي على أخويها صخرًا ومعاوية، حتى أدركت الإسلام، فأقبل بها بنوعمها إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وهي عجوز كبيرة، فقالوا: يا أمير المؤمنين، هذه الخنساء، قد قرحت مآقيها من البكاء في الجاهلية، والإسلام، فلو نهيتها، لرجونا أن

تنتهي. فقال لها عمر: اتقي الله وأيقني بالموت. فقالت: أنا أبكي أبي، وخيري مضر: صخرًا ومعاوية. وإني لموقنة بالموت، فقال عمر: أتبكين عليهم وقد صاروا جمرة في النار؟ فقالت: ذاك أشد لبكائي عليهم؛ فكأن عمر رق لها، فقال: خلوا عجوزكم -لا أبا لكم-، فكل امرئ يبكي شجوه، ونام الخلي عن بكاء الشجي.

من كلماتها:

كانت لها موعظة لأولادها قبيل معركة القادسية، قالت فيها:

"يا بني، إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله غيره، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم/ ، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين، من الثواب الجزيل، في حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية، خير من الدار الفانية، يقول الله -عز وجل- " **يا أيها الذي آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ". فإذا أصبحتم غدا، إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على

أعدائه مستنصرين. وإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها، وجللت نارًا على أرواقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها، عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة.

فلما وصل إليها نبأ استشهادهم جميعًا، قالت:

" الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته ".

وفاتها:

توفيت -رضي الله عنها- بالبادية، في أول خلافة عثمان -رضي الله عنه-، سنة 24ه.

عاتكة العدوية

-رضي الله عنها-

أصلها ونسبها:

هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، مخزومية، قرشية، من عشيرة عدي بن كعب، وهي أخت سعيد بن زيد بن نفيل، زوج فاطمة بنت الخطاب -رضوان الله عليهم أجمعين-.

كانت فتاة ذات جمال، وكمال يسلب الألباب، وهي شاعرة من شاعرات العرب، تهوى الأدب، كما كان لديها من الفصاحة، والبلاغة، ما جعلها: لسنة إذا حدثت، وبليغة إذا نطقت. كما عرفها الناس بحسن خلقها، ورجاحة عقلها. عاشت في كنف الإسلام، وكانت من السابقين إليه، كما كانت من الذين هاجروا إلى مدينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

قصة زواجها:

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما:- "من أراد الشهادة، فليتزوج بعاتكة" ؛ هذا لأنها ما تزوجت أحدًا إلا واستشهد، وربما هذا هو أحد الأشياء التي جعلها من المسلمات الخالدات، كما كان أزواجها كلهم من صحابة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

الشهيد الأول:

عندما بلغت مرحلة الشباب، تهافت عليها الشباب يطلبونها للزواج، وكان من بين هؤلاء الشباب شاب وسيم، والده من أقرب الناس إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومن أوائل المسلمين، وخليفة المسلمين بعد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، إنه [عبد الله بن أبي بكر الصديق] -رضي الله تعالى عنهما-، فوافقت عليه وتزوجها.

تزوج الشابان، وبدءوا حياتهم، وبسبب حديثها الحلو، وجمالها الفتان، صار عبد الله منشغلًا بها عن أداء باقي واجباته، ونسي أمر مغازيه وتجارته، ولكن أوقفه أبوه عند حده، كما تقول الروايات، ففي

أحد أيام الجمع مر به والده أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-؛ ليذهبا معًا إلى الصلاة، فسمعه من أسفل الدار، يناغي زوجته عاتكة، ويحدثها بالكلام المعسول، فتركه وذهب إلى صلاته. ولما رجع، وجده على نفس الحال، فناداه: يا عبد الله، أأجمعت؟ فقال عبد الله: أوصلى الناس؟ قال أبو بكر: نعم، قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة، وقد ألهتك عن فرائض الصلاة، طلقها.

ولأن عبد الله كان ابنًا مطيعًا لوالديه،

وأدرك أنه قصر في واجباته تجاه خالقه، وذلك لانشغاله بعاتكة؛

طلقها، وانطلق كل منهما في سبيله...

ولكن عبد الله مازال يحب عاتكة، فمرت به أيام سوداء، كالليل المظلم، بعد طلاقه لعاتكة مباشرة، وندم على ما صنع، وأقسم على الطاعة والعمل. ومن ناحية أخرى، كانت عاتكة تقرع نفسها، وتلومها على ما صدر منها، وندمت كثيرًا، وعرفت أنها كانت سبب انشغال زوجها عن أعماله.

وفي ليلة من الليالي، وبينما كان أبوبكر يصلي على سطح داره، وهي ملاصقة لدار ابنه عبد الله، سمعه يقول أبياتًا من الشعر، تدل على الندم، والشوق إلى المحبوبة، وهنا أدرك أبو بكر ما يدور في نفس ابنه، كما رق له، فقام وناداه، وقال: يا عبد الله، راجع عاتكة -أي أرجعها إلى عصمتك-. ففرح، واعتق غلامًا كان لديه، اسمه [أيمن] كرامة لها، ثم جرى حتى وصل إليها، وصار يراجعها، ويقنعها مرات ومرات، حتى رضيت وعادت اليه. لم يكن تردد عاتكة، بسبب تكبر أو حيرة، إنما لتتاكد من موقف عبد الله، فهي لم تكن اقل شوقًا منه.

عندما راجع عبد الله زوجته عاتكة، وهبها حديقة، واشترط عليها ألا تتزوج أحدًا بعده. وعاشا حياة سعيدة هانئة، ولم ينسيا حق الله عليهما، وكانا ممن يضرب بهم المثل، كبيت مسلم يضمه السعادة، ولكن لم تدم هذه السعادة، فقد استشهد عبد الله في إحدى المعارك، فجزعت عاتكة، وبكته، ورثته بأبيات. منها:

فلله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمى في الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

فأقسمت لا تنفك عيني سخينة عليك، ولا ينفك جلدي أغبرا
مدى الدهر ما غنت حمامة أي وما طرد الليل الصباح المنورا

- وصارت امرأة منطوية على نفسها وتتذكر أيامها التي مضت مع حبيب قلبها.

الشهيد الثاني:

لم يمر وقت طويل، حتى خطبها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، والذي لم يكن غريبًا عنها، فهو من أقاربها، وكان معجبًا بها، وكيف لا وهي المرأة ذات الجمال، الذي فتنت الرجال بدينها، وأدبها، وجمالها. خطبها عمر، ولكن هناك الشرط الذي اشترطه عليها زوجها -الشهيد الراحل- [عبد الله بن أبى بكر]، عندما وهبها الحديقة، وهو ألا تتزوج من بعده. وأصبح هذا الشرط عائقًا في طريق زواجها، فنصحها عمر، وقال لها: استفتي. فاستفتت [علي بن أبي طالب] -رضي الله عنه-، فقال لها: أن ترد الحديقة إلى أهلهِ وتتزوج.

وهكذا، تزوجت عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وعاشت معه، وكانت زوجة مخلصة، تقوم بأعمال بيتها، وترعى زوجها، وتسعى إلى إدخال السعادة إلى قلبه، وقد رزقها الله منه ولدًا، اسمه [عياض]، وهي لم تنسَ حق ربها عليها، فكانت عابدة مخلصة لربها. ولكن كانت الأيام تخبئ لها رحلة حزن أخرى...، فها هو عمر يطعن وهو يصلي، ولم يلبث إلا أن فارق الحياة، فبكته، وقالت فيه بعض القصائد.

وهكذا انطوت على نفسها، ولم تخرج من بيتها إلا للذهاب إلى المسجد، لتصلي وتتعبد.

فقد كان فراق عمر يسبب لها الأرق، فكم من الليالي مرت عليها، والنوم لا يعرف إلى عينيها طريقا،

وإن غفوت، ما تلبث إلا أن تهب من نومها أثر حلم مخيف فتجلس، وتبكي، وترثي عمر.

الشهيد الثالث:

عندما انقضت أيام عدتها، جاءها الزبير بن العوام، حواري رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وابن عمته، جاءها خاطبًا، فلم تقبل إلا بعد

إلحاح، فهي كانت تتمنى ألا تتزوج. وهكذا تزوجت من الزبير بن العوام، وهو رجل شديد الغيرة، فكان غيورًا عليها إلى أبعد الحدود، وفي يوم من الأيام، قال لها: يا عاتكة لا تخرجي إلى المسجد...، وكانت هي امرأة عجوز.

فقالت له: يا ابن العوام أتريد أن أدع لغيرتك، مصلى صليت فيه مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبي بكر وعمر؟ قال: لا أمنعك...، لكنه كان يخطط لشيء ما. فلما صار وقت صلاة الصبح، توضأ، وخرج ليكمن لها في سقيفة بني ساعدة، فلما مرت ضرب بيده على جسدها وهرب.

نظرت عاتكة حولها فلم تجد أحدًا، فقالت: مالك؟ قطع الله يدك. ثم رجعت إلى بيتها. فلما رجع الزبير من المسجد، سألها: لما لم يرها في المسجد، فقالت: يرحمك الله يا أبا عبد الله، فسد الناس بعدك، الصلاة اليوم في القيطون، أفضل منها في البيت، وفي البيت أفضل منها في الحجرة. وهكذا لم تخرج بعد ذلك اليوم إلى الصلاة في مسجد.

وها هو زوجها الثالث، يقتل بوادي السباع، عندما رجع عن الركب الذي ذهب لقتال علي -رضي الله عنه-، بعدما اقتنع أنه لا يمكن أن

يستمر في معاداة هذا الرجل، فاغتاله [عمرو بن الجرموز] في الطريق، فرثته كما رثت أزواجها السابقين.

ومما قالت في رثائه:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقا وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشًا رعش اللسان ولا اليد
شلت يمينك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المستشهد
إن الزبير لذو بلاء صادق سمح سجيته كريم المشهد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادك يا ابن فقع القرود
فاذهب فما ظفرت يداك بملة فيمن مضى ممن يروح ويغتد

ومما يبين إخلاصها لزوجها بعد وفاته، هو عندما أرسل إليها ابن الزبير، عبد الله يحاكيها في إرثها، لم تبد أي طمع في ماله، على الرغم من ثراء الزبيرُ -رضي الله عنهما-، وإنما رضيت بما أعطوها من الإرث، وهو كما يقال: ثمانين ألف درهم.

الشهيد الرابع:

بعد انقضاء عدتها من الزبير، جاءها علي بن أبي طالب-كرم الله وجهه- خاطبًا، فقالت له: "إني لأضن بك يا بن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن القتل"، فأخذ برأيها، ورجع عن خطبتها، وكان يردد بعد ذلك: "من أحب الشهادة الحاضرة فليتزوج عاتكة".

ثم تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب، فكانت رفيقة جهاده وجلاده، فارتحلت معه إلى الكوفة، وصبرت معه يوم كربلاء. فكانت أول من رفع خده من التراب، ولعنت قاتله، والراضي به، والشاهد له دون اعتراض. وقالت باكية وهي ترثيه:

وحسينًا، فلا نسيت حسينا أقصدته أسنة الأعداء
غادروه بكربلاء صريعًا جادت المزن في ذرى كربلاء

وكان آخر مطاف في حياتها الزوجية، هي شهادة الإمام الحسين -رضي الله عنه- فتأيمت بعده.

ويقال إن مروان خطبها بعد شهادة الحسين، فرفضته، وقالت: "ما كنت لاتخذ حمًا بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-".

وفاتها:

لقيت -رضوان الله عليها- وجه ربها، في سنة أربعين للهجرة.

وأصبحت القصة الحزينة لهذه المرأة الجميلة، وأزواجها الذين انتهت حياتهم الواحد تلو الآخر بمأساة، ورواية خيالية يرددها الناس وجملها أكثر قصائدها في الحب والرثاء. غفر الله لنا ولها آمين.

الخاتمة:

إنّ عاتكة امرأة عربية من وسط الصحراء والبادية، أصبحت ضمن من هم في ذاكرة الزمن، وقد كتب عنها من كتب، ليس فقط لجمالها الذي تميزت به، فجعل كثيرًا من الشبان يتقدمون إليها في شبابها؛ وإنما حسن أدبها، وخلقها، وحكمتها، ولأن الله ميزها بأن جعل من يتزوجها

ينل الشهادة، وهذا ما جعل عشاق الشهادة يتهافتون عليها، وينساقون إليها في كبرها، طالبين القرب منها.

وقد اتصفت إلى جانب ذلك بالإخلاص في كل شيء: الإخلاص لربها، ولدينها، ولأزواجها.

'' تم بتوفيق الله ومنه، ونسأل الله العفو، والقبول ''

2017-12-23

❋ ❋ ❋

'' وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن صحابته الطاهرين، وأزواجه الطيبين، والأنصار الخيرين، وعن أهل بيته المكرمين...ربنا تقبل منا، فأنت أرحم الراحمين ''

كتبه/ محمد نافع الشربيني إسماعيل حمزة.

ليسانس تربية، جامعة الأزهر الشريف

كفر الجرايده / مركزبيلا / محافظة كفر الشيخ

للتواصل

01023900584

01555419112

❋ ❋ ❋